الدكتور/مزهر الخفاجى

البحث عن جنة الفردوس

دراسة
فى أساطير الحضارات القديمة

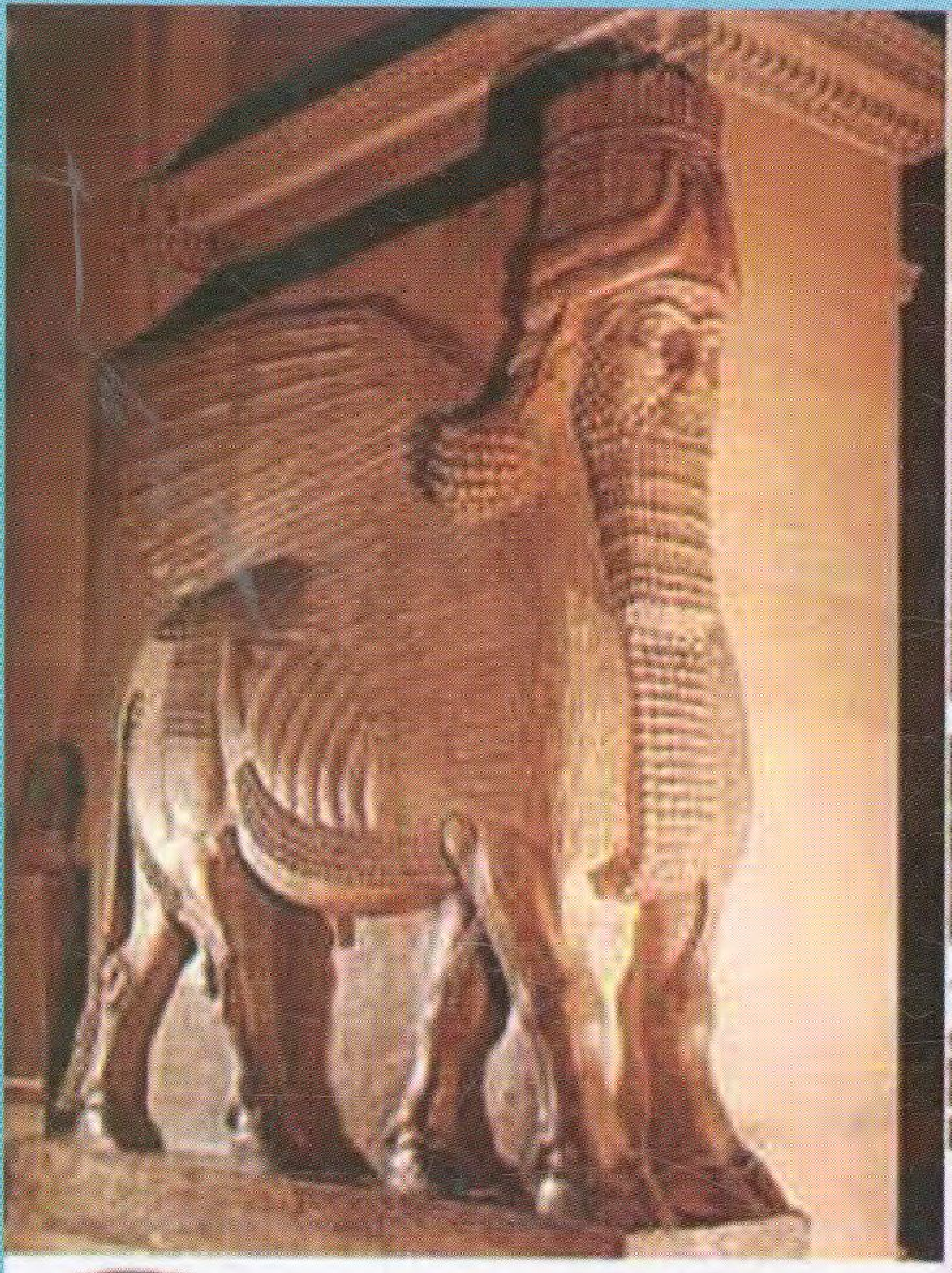

مكتبة مدبولى

إهــــــــداء ٢٠٠٩
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

البحث عن جنة الفردوس

البحث عن جنة الفردوس

دراسة
في أساطير الحضارات القديمة

الدكتور
مزهر الخفاجي

مكتبة مدبولى
٢٠٠٩

اسم الكتاب : البحث عن جنة الفردوس
اسم المؤلف : الدكتور/ مزهر الخفاجي
الطبعة : الاولى
رقم الايداع : ٢٣٦٥٤ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولى : 0 - 782 - 208 - 977
الناشر : مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة
ت : ٢٥٧٥٦٤٢١ ف : ٢٥٧٥٢٨٥٤
Web site : www.madbóulybooks.com
E_ mail : info@madboulybooks.com

الآراء الواردة فى هـذا الكتاب تعـبر عن وجهـة نظر المؤلف
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر

الـــي

استاذي وصديقي

الأستاذ الدكتور بهنام ابو الصوف

عرفاناً بالجميل

مزهر

المقدمة

ظل موضوع الكتابة عن جنة الخلود أو الفردوس القديم او دلمون في الحضارات القديمة امراً شيقاً وصعباً في ذات الوقت وتكمن اهميته في كونها تحيلنا إلى مساحة كبيرة من المخيال الأسطوري والادبي القديم بالاضافة الي احتلالها مساحة أكبر من الخطاب الفكري أو الفلسفي أو العقيدي في الديانات الرسالية (اليهودية، المسيحية، الإسلامية) وعلي الرغم من أن فكرة الجنة والحصول عليها أو الاستقرار فيها كثواب للأعمال الصالحة كانت هي جوهر فكرة الخلود في المخيال الفكري والديني والاسطوري في الحضارات القديمة إلا أن الأمر فى تحديد كينونتها ظل يضغط على العقل البشرى والذى استمر يطرح نفسه على هيئة أسئلة تناسلتها او انتقلت بعد ذلك بشكل أو بأخر في فكر الحضارات والديانات القديمة مع اتفاقنا مع كثير من المقولات ان الجنة كانت رغبة من الإنسان في الحصول علي الخلود والتي عبرت عنها طفولة العقل البشري ورغبته في التوازن الروحي والقيمي حيال لحظة الموت التي اكتشف انها الحقيقة الخالدة الوحيده في تفكيرة الديني ، حتي عد بعض الباحثين أن فكرة الخلود في الجنة أو في الفردوس او عالم الاخره ، هو بمثابة الثواب الأخير لتوأم الانسان مع قيم الخير والعدل الذي حاولت ان تكرسه الأساطير البشرية ودياناتها المرسالة فيما بعد وقد وجدنا ان المترشح في فكرة الجنة أو الفردوس مع العقد الديني الروحي في التفكير الديني ، ان لم تكن هي جوهر الاهوت الديني قديمة وحديثه .

وفي الوقت الذي اتفقت او اتسقت فكرة الجنة في مسارها التاريخي والديني منذ ظهور الأنسان واستقراره على أرض المعموره وكرسته كثيراً من تعاليم ديانته القديمة لكننا نستطيع ان نقول في الوقت نفسه أن هذا الاتفاق قد أول السؤال الأزلي ظل يتكرر على لسان الانسان حتى وقتنا الحالي حدد فيها ما هية

الجنـة ومكانهـا وطبيعتهـا وقـد توزعـت هـذه الاسـئلة فـي كثيـر مـن الاسـاطير والملاحـم الأدبيـة القديمـة العراقيـة ، (سـومرية ، وأكديـة ، وبابليـة ، واشـورية وخليجيـة اخـرى) ، وقـد نـتج عـن هـذا السـؤال مرحلـة فكريـة أخـرى تتمثـل فـي اختلاف التفسيرات التاريخية والاثارية ، والتفسيرات الدينية والتي كانت تهدف جلها إلي الوصول الي جوهر فكرة الجنـة أو الفردوس أو دار الا خره " دلمـون في كثير من الاساطير والملاحم الادبية القديمة وبغية تكوين فكرة شامله عن هذا الموضـوع فقـد تقصـينا فكـرة الجنـة فـي كثيـر مـن الملاحـم الاسـاطير القديمـة للحضارات السابقة ساردين فيها كثيراً من الأسـاطير والدراسـات الحديثـة والتـي حاولت أن تحدد ابرز الملاحم والأساطير التي حددت فكرة الجنة في الحضارات القديمة ومكانها والتى ذكرت العديد من اساطير الجنة وعقت باسم(دلمون) وقد سعت هذه الدراسة الي ابراز الاراء التي حاولت أن تحدد البعد الزماني والمكاني لفكرة الجنة ، ومناقشة بعض الاسانيد والتي وأن اختلفت في تحديد مكان الجنـة لكنهـا إتفقـت علـى شـيوع هـذه الفكـرة والـذي تتبعنـاه فـي كثيـر مـن الأسـاطير والملاحم لكثير من حضارات الشرق القديم ولا يسعني هنا إلا ان اشكر من كـان لهم سبق الفضل والدعم أخص بالذكر الدكتور بهنام أبو الصوف والـذي كـان لـه الفضل في استمرار الكتابة عن هذا الموضوع .

المدخل الآثاري والتاريخي والاسطوري

إن الباحث الجاد لابد أن يبدي احتراماً للدين لأنه يرى أنه مؤدياً وظيفياً إنسانياً لا غنى عنه على ما يظهر في كل عصر ومصر فقد انزل الدين على الشقي والمحروم والمسن ألوانا من السلوى الخارقة التي تعدها ملايين النفوس أثمن من أي عون طبيعي حتى بدى الدين لكثير من الدارسين لأول وهلة مقطوع الصلة بالأخلاق وهو من صنع الخوف وقد وصف الأديب الروماني بترويتيوس أن الخوف هو الذي خلق الآلهة في البداية أي الخوف من القوى المخبوءة في الأرض والأنهار والمحيطات ....) [١] .

وبما أن دراسة التاريخ تدور حول كل من المؤقت والابدي – أي الدائم فالله خلق ابدي وهو خلق الزمن . وبما أنه لا يجوز فهم الابدي ولا وصفه من وجهة نظر المؤقت فالله موجود وحال في الزمان كله مثلما هو ابدي ، والزمن وإن لم يكن فهمه بمفاهيم الذهن فمن المقطوع به ان مما يمارسه الانسان للعقائد الدينية وإن العلاقة بين المؤقت والأبدي غير مفهومه انذاك ...) [٢] لقد كان الدين مرحلة ضرورية في التطوير الجدلي للروح .. وإن وجود الدين ليس محض صدفة وليس وسيلة بشرية خالصة وإنما هو عمل ضروري من أعمال العقل في العالم هذا الامر هو الذى يجعلنا نتفق مع مقولة :- إن الدين فطرة في النفس البشرية والفطرة هي الطبيعة التي خلقها الله في جميع البشر [٣] .

---

(١) ول ديورايت : دروس في التاريخ – ترجمة علي شلش . دار الصباح ، ٨٩ .

(٢) ويد جيري : التاريخ وكيف يفسرونه – ترجمة عبد العزيز جاويد – القاهرة ، ص ٣٩ .

(٣) سعيد مراد : المدخل للأديان ص ٢٩ .

وإذا جاز لنا ان نطلَ إطلالة سريعة على مراحل التدين فأننا يمكن أن نقول لقد مر التدين بثلاث مراحل كبرى هي :

١) **الديانة الطبيعية :** وقصد بها جميع الديانات التي لم تستطع فيها الروح السيطرة على بعد الطبيعة .

٢) **الديانة الفردية الروحية :** وهي الديانة التي تعرف الله كونه جوهر الأشياء بل ذاتاً وروحاً ويتأكد ذلك من خلال عبادته الإنسان القديم للإله الشخصى الطوطم والذي تكون فيها ماهية الإله هي الشخصية فالله هو الروح على وجه التحديد .

٣) **الديانة المطلقة :** ويقصدبها الديانة التي يتحول بها الإنسان إلى الإيمان بالحق المطلق حسب تعبير هيجل [1] ولما كان التدين عنصر أساسي في تكوين الإنسان و لا بأس أن نقف بإختصار لنبحث في الدوافع التكوينية للتدين فبعض الباحثين أوعزوا التدين إلى عوامل ثلاث منها أن التدين ما هو إلا الشعور الغريزي بالخوف والفزع وعن كل ما هو مجهول وكان سبباً دعى الإنسان إلى أحترام القوى التى تؤثر في حياته كما عرفنا ذلك سابقاً إلي الخوف من الطبيعة أو من الأمراض وفي فكرة الإصابة باللعنة من الأله في حين يذهب البعض الأخر إلي كون الدين قد نشأ في مرحلة متقدمة حضارياً بتأثير العامل الأخلاقي من خلال رغبة الانسان في السمو والارتقاء فالبحث عن معبود إذا ما فكر فيه سما بنفسه والبعض الآخر أوعز التدين إلى الجانب الروحاني في ذات الإنسان وذلك عندما أعتقد أن لكل شئ

(١) إمام عبد الفتاح : فلسفة هيجل – دار الثقافة – ص ٦٥٩ .

روحاً والعالم الخارجي ليس مواتاً ولا خلوا من الاحساس لكنه كائن حي دافق بالحياة التي يستحيل تحليلها [1] . وهذا الأمر هو الذي يجعلنا نعتقد من أن الأديان القديمة لا تشتمل على عقيدة في أغلبها ، بل لا تتكون إلا من مؤسسات وممارسات ومما لا شك فيه أن البشر في العادة لا يتبعون بعض الممارسات ومن إضفاء معنى عليها والعكس صحيح فقد وجدنا أن هذه الممارسات كانت تتسم بالثبات الصارم في حين أن المعنى المضاف إليها يتميز بالغموض الشديد والطقس الديني على كل حال كان الدين بشكله القديم له تغييرات مختلفة وقد وجد أن الشعيرة الدينية كانت لا تتصل بعقيدة صارمة بل بأسطورة ، تستقر معانيها من الشعيرة الدينية ثابتة إما الاسطورة فمتغيرة .

وقد وجدنا أن الشعيرة الزامية في حين أن الإيمان بالأسطورة كان متروكاً لاختيار العابد والملاحظ أن التدين يتصل الجزء الأعظم منه بأساطير الديانات القديمة ببعض المواضيع المقدسة أو ببعض الشعائر الدينية لدي مجتمعات معينة بعينها وفي مناطق محددة .... وهذا الامر هو الذي جعل بعض الباحثين يعتقدون من ان الاسطورة ما هي إلا تفسير للعرف الديني (٢) من خلال تصور ما لا يمكن تصوره والتعبير عما يمكن التعبير عنه (٣) .

لذلك احتلت أفكار أو معتقدات الجزاء وترتيباتها المتصلة بالموت والحياة والدار الآخره – حيزاً واسعاً في التفكير الفلسفس الديني وفي مراحل ممتدة من

---

(١) سعيد مراد :/ المدخل إلي الأديان ص ٤٠.

(٢) روبرتس سميث : ديانة الساميين ص ١٧ – ص ١٩.

(٣) ماكس ملر : بشأن الدين ونموه ص ٧٤ .

أعماق التاريخ حيث شغل الاعتقاد بالدار الآخرة فكرة الكثير من حكماء الحضارات القديمة بما يسمى عندهم بإسم الولادة الجديدة وهذا الأمر هو الذي جعل العالم (تايلور) يقول أن الإنسان كان أمام ثلاث معتقدات عامة بشأن وجود الشبح الروحي بعد الموت .

الأعتقاد الأول : بأن الأشباح ترفرف حول الأرض وتبدي اهتماماً بالأحياء وأنها أحياناً تقوم بزيارة منازلها والاعتقاد بوجود مكان محدد في عالم آخر تقيم فيه الروح كالجزر أو العالم السلفي أو الجبال أو السماء ، وهذا الاعتقاد يقع في واحد من تصنيفين يسميهما (تايلور) بنظرية الاستمرار ونظرية الحساب ، فمن الاستمرار تستمر الحياة بشكل مشابه للحياة الارضية أما الثانية فإن الأرواح تكافأ ، وتحاسب بحسب أعمالها على الأرض وبالطبع فإن النظرية الثانية يكون لها أثر خاص على السلوك الاجتماعي لدى الشعوب التي تأخذ بهذا الأعتقاد [1] .

كانت الألهة بالنسبة للإنسان القديم هي الإله التي يتصورها وكل إنسان يتصور الإله تصوراً خالصاً له من حيث مستوى وعيه وثقافته ، ومن يصفه أو يحدد أو يتصوره وفق هذه المستويات ... ولقد مرت الأمم السابقة في اعتقادتها الدينية في الإله بعدة مراحل بدأت بالتعدد ثم التمييز والترجيح ثم الوحدانية الناقصة وفي هذه المرتبة الثالثة يكون العقل الإنساني قد بلغ درجة من الرقي المعرفي .

إن لغز الحياة والموت ومصير الإنسان فيما بعد الموت ، لا يزال يشغل حيزاً كبيراً في تفكير الإنسان ومبعث قلق وحيرة لازمتا حياته منذ أن وجد على هذه

---

(١) أبريل كارنر : هؤلاء درسوا الانسان – ترجمة مني الشريف – بيروت ١٩٩٦ ، ص ٩٣ .

الأرض قبل أكثر من مليون عام . واستنتج عن ذلك معتقدات وشعائر دينية متنوعة مختلفة احتلت مكان الصدارة في آداب الحضارات المختلفة وأساطيرها وانماط سلوك أفرادها ونظرتهم العامة إلي الحياة [1] وقد عبرت عن هذا الهاجسى خير تعبير ملحمة جلجامش والتي يخاطب فيها بطلها (اتو – نبشتم) جلجامش حين قصده ليسأله عن سر حصوله على الخلود بالرغم من أنه من البشر الفانين :

إن الموت قاس لا يرحم .

هل بنينا بيتاً يقوم إلى الأبد ؟

وهل ختمنا عهداً يدوم إلى الأبد ؟

وهل يقسم الأخوة ميراثهم ليبقى إلى آخر الدهر ؟

وهل يرتفع النهر ويأتي بالفيضان على الدوام ؟

والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل أجلها ...[2].

وقبل أن نسترسل في تحليلنا لمفهوم الجنة في الاساطير القديمة لابد أن نعرف أو نحدد مفهوم الجنة وفقاً لمرجعياتها اللغوية والفكرية .

الجنة وجمعها جنان ، ولا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب والجنة عنهم وعند الاقوام التي سبقتهم هي دار النعيم في الدار الآخرة والجنة

---

(١) طه باقر : مفهوم الزمن في حضارة وادي الرافدين وعلاقته بالخلود . جملة آفاق عربية بقداج ١٩٧٩ ص ٤٧ .

(٢) طه باقر – مفهوم الزمن .

هي من الجنان ذات الشجر الكثير والنخل وسمت جنة وذلك لتكاثف أشجارها بالتفاف أغصانها .

أما الفردوس : فهي البستان ، والوادي الخصيب، أو الروضة ، والفردوس : وهي حديقة في الجنة والفردوس لفظ يوناني "Paradiesos" والذي يعني (حديقة) ، ويرد اللفظ في اليونانية تارة بالمعنى الأصلي وتارة بالمعنى الديني .

وهذا التقارب بين مفردتي الجنة و الفردوس فالجنة هي دار النعيم في الآخرة والفردوس حديقة في الجنة من هنا يمكننا القول أن الجنة هي الأصل والفردوس جزء فيها ،ونرى أن مصطلح الفردوس إذ يستخدم للدلالة على الجنة فذلك من باب استخدام الجزء للدلالة على الكل . أما من ناحية الدلالة والإيماء ، فلا فارق بين استعمال المفردتين وتتباين الآراء حول سبب نشوء " فكرة دلمون " فهي بين أن تكون " عالماً مفقوداً " وبين أن تكون " حلماً " تجلى في أدبيات البشر التي تصف " عالما قائماً " .....عالماً لا مرض فيه ولا عناء ولا شيخوخة ولا موت.

ووفقاً لهذا الفهم فإن الفكرة القائلة بأن الجنة عالم مفقود ، ففي ذلك تحديد نسبي لنشوئها في " فجر الزمن " حين لم يكن العالم إلا " عالم الوعد " ...

ويرجع بعضهم فكرة نشوء الجنة التي تحول عمل الإنسان من متعة ورغبة إلى تحقيق الذات ، إلى عبودية وأغتراب ، ومن طقس جماعي معرض إلى وحدة قاسية بلا هدف أو غاية ، ويتحدد هذا التحول بزوال المشاعر الابتدائية وفقدان الفرد سلطته إلى وسائل إنتاجه لصالح الآخرين فظلت رغبة التغيير كامنة في الفرد لذلك كانت أساطير دلمون لدى الشعوب في الحضارات

السابقة ، تعبيراً سلبياً عن رغبته في التغير لم تخرج إلى حيز الفعل ، أو فعل تم إحباطه ، فصار حلماً ينتظر .

ويذكر العالم "جون غري" : أن فكرة الجنة تعكس أنبهار البدو بخضرة وادي الرافدين ، ولعل الفكرة المؤسسة على طرد آدم من الجنة ، جاءت انعكاس للإحساس بالحرمان الذي كان البدوي يعاني منه نتيجة للطرد المستمر الذي كان يتعرض له هو وقطعانه من سكان الأراضي الزراعين هذا الأمر ذهبت اليه التوارة إذا قالت أنا اللعنة على الإنسان بسبب عصيان حواء أمر الله هي التي جعلت الله يخرج آدم من جنته الخضراء وجعل آدم يمتهن الفلاحة وأن لعنة الخروج حلت كلعنة على الإنسان الذي عصى أوامر الرب .

أما مدرسة التحليل النفسي فإنها تفسر أسطورة الجنة على أنها انعكاس للحالة التي عاشها الفرد في رحم أمه ، فوضع الإنسان الأول في الجنة ، وعيشه السهل دونما مشقة أو جهد أو قلق ، هي صورة لما كان عليه الإنسان في عصره الأول في رغبته في ممارسة حريته وهي حالة سوف يفتقدها الإنسان في حياته التالية وسوف يبقى في حالة من الحنين الدائم لها وقد تجلي حنينه هذا في كل ما أنتج لا شعوره من أساطير تتعلق بفردوس قادم سيؤوب إليه بعد نهاية من عناء هذه الحياة

وهذا يعني أن العصور القديمة قد شهدت إنتاج اساطير قد عبرت عنه بصياغة منظومة خيلائية وقد ظل فيها القدماء واقعين تحت سحر طفولتهم الأولى ، ويرى آخرون أن الجنة تعبير وتعويض لما ينقص المرء وتوقع لما ينتظر ويرجو ..... وعلى هذا يميز الباحثين بين فردوس دنيوي ، وفردوس

سماوي ، الفردوس الدنيوي يرمز إلى شوق أبناء المدن المنهكين لمباهج الريف البسيطة ، أو حنين الفقراء المحبطين الهمة الطامحين إلى ملاذ أمن والذى صار نتاجاً طبيعياً براءة أو طفولة العقل البشري .

الـجنــــة

عدن ، دلمــون ، الفـــردوس

الاسطـــورة ، الـــزمان

المكـــان المفتـــرض

الجنة الرمز والأسطورة والمكان

جاء في الكتاب المقدس :

[وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً وجعل هناك الإنسان الذى جبله] التكوين : فصل الثاني : ٨

وجاء أيضا : -

[وكان نهر يخرج من عدن فيسقي دلمون ومن ثم يتشعب فيصير أربعة رؤوس اسم إحداهما فيشون (سيحون) وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيد. هناك المقل وهجر الجزع. واسم النهر الثاني جيجون وهو المحيط بجميع أرض الحبشة. وأسم النهر الثالث حداقل (دجلة) وهو الجارى في شرقي آور والنهر الرابع هو الفرات] التكوين : فصل ثاني ١٠ - ٤

لقد جرت محاولات عديدة في الماضي من قبل مؤرخين ورجال دين وباحثين في مختلف حقول المعرفة، لتشخيص مكان الجنة او(دلمون) التى ورد ذكرها في العهد القديم (التوراة) وللتعرف على النهرين الأولين من الأنهار الأربعة (أى سيحون وجيجون، إذا كان دجلة والفرات معروفين تماماً في كل مراحل التاريخ). وقد وضعت عدد من الآراء في هذا الصدد كان أبرزها ما أقترحه بعض آباء الكنيسة وعدد من المؤرخين الكلاسيكيين من أن: [موضع دلمون قد يكون في (منغوليا) أو (الهند) أو (الحبشة) أو (الاناضول) مدعمين رأيهم هذا بقدم تلك الأصقاع واحتوائها على سهول واسعة وأنهار عظيمة كالنهر الأصفر، ونهر السند، والكنج، وقد حاولت كتاباتهم التاريخية أن تؤكد من أن

نهري (سيحون وجيحون) قد يكونا هما نهري العالم القديم العظيمين (النيل والكنج) كما كانت بلاد الأناضول من المناطق التى اقترحت كمكان للجنة الموعودة أى احتمال وجود جنة عدن فيها: وذلك بسبب كون منابع دجلة والفرات تنبع في جبالها وأن جبل (آرارات) هو المكان الذي وقفت عليه أورست عله سفينه نوح .

بقت هذه الأفكار وغيرها سائدةً قرون عديدة إلى أن جاءت عمليات التنقيب المكثفة في منتصف القرن الماضي وأواخره وأوائل القرن الحالى في العراق وما قدمته من مكتشفات كبيرة في حقول الفن، واللغات القديمة، والعقائد، والآداب والملاحم والأساطير، فجعلت الباحثين ومؤرخين الحضارات والأديان يركزون اهتمامهم في هذا الوادى وحضاراته المتعاقبة وما أفرزته ترجمات وقراءات آلاف الرقم الطينية المكتشفة في أعماق مدنه القديمة الشهيرة والمدونة بالخط المسمارى باللغات السومرية "الأكدية" و"البابلية" و"الآشورية" من معلومات مذهلة ألقت الضوء على كثير من أصول الأفكار والفلسفات والعقائد والقوانين والآداب التى كانت مجهولة للعالم الأكاديمي حتى ذلك الحين .

كما أظهرت للعالم عظمة وأهمية التراث الروحي والثقافي الذي خلفهُ بناة الحضارة الأوائل في وادى الرافدين وأماطت اللثام عن خلفية المعلومات والرموز والأفكار الواردة في كثير من أفكار العهد القديم، وأولها سفر التكوين، وأكدت للباحثين المختصين بأن الكثير مما ورد في المؤلفات العبرية اللاحقة من أفكار، أو ربما كان كل المكتوب في التوراة مقتبسا من الأساطير العراقية القديمة، مباشرة أو عن طريق الكنعانيين سكنة فلسطين الأصليين وللحديث عن

الجذر اللغوي لكلمة (عدن) والواردة فى كتاب التوراة فيمكننا أن نقول أن كلمة عدن "Edin, Eden" في التراث اللغوي العراقي القديم قد جاءتنا لأول مرة من بلاد سومر، جنوبي العراق، منذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد في اللغة السومرية فالكلمة Eden تعني السهل او الخصب او المخضر او المزروع .

أما كلمة آدم Adem فهي تعني كلمة يؤدي معناه الي شيء شبيه: بالاستقرار في السهل الخصب وإن الكلمتان تعودان إلى تراث لغوي قديم سبق السومرية في القسم الجنوبي من وادى الرافدين أطلق عليها الباحثون (ينبو لانذر بركر) لغة طلائع الفراتين أو الجزريين، أو لغة أهالى (عصر العبيد) من أوائل مستوطني السهل الجنوبي من العراق في مطلع الألف الخامس قبل الميلاد.

ألا أن أمثال هذه الكلمات وغيرها كبعض أسماء المدن (اور) (واوروك) واريدو وبعض الحرف (كالفخار والحداد) والأنهار قد دخلت لأول مرة في التاريخ.

أما كلمة حواء فإن اسم حواء Ene فانه لم يظهر صراحة في اللغة السومرية أو في المدونات المسمارية الالاحقاً، إلا أننا وجدنا ان مفهوم حواء أم البشر، وخلقها من ضلع آدم، له جذور في إحدي الأساطير السومرية (والتي ترجمها صموئيل كريمر) التى تحكي أن الإله إنكي إله المياه أغضب الإلهة (ننخرساك) الهة الأرض بالتهامه ثمانية من النباتات السحرية التى أنبتها فدعي عليه بلعنة الموت وانسحبت من بين الآلهة واختفت.

فمرض (إنكي) مرضا شديداً وتعطلت ثمانية من أعضاءه وأوشك على الهلاك. فتحايل الآلهة على ننخرساك لتعود إلى مجمعهم (Panthifon) وتشفى

(إنكـي) إلـه الميـاه. فعـادت الإلهـة لـلأرض بعـد إلحـاح شـديد وأوجـدت ثمانيـة معبودات لشفاء أعضاء إنكي المعطلة. وكانت أحد هذه المعبودات الثمان تـدعي: نـن – تـى Nin – Ti أى سيدة الضلع، إذ أن كلمـة تـى Ti فـي السومرية تعنـي الضلع و Nin سيدة. فالآلهة تي إذاً متخصصة في شفاء الأضلاع ويطلق عليها السيدة مانحة الحياة أيضاً Lady who mades live اى " أم البشر".

أما عن فرضيه الطرد من الجنـة وعن فكرة الفردوس المفقود، أو الخروج من الجنة بسبب غضب الآلهـــة فنقرأ فـــي (ملحمـــة أنمركـار) و(بـلاد أرتـا) "السومرية" وعن زمن السلام والنعيم والأرض عاشـها الإنسان ثم سقط من نعيمه هذا بسبب غضب الآلهة عليه.

وهذا الأمر كما تقول الأسطورة قد وقع في فترة من فترات الزمان، لا وجـود للأفاعي ولا السباع فيها، لا وجود فيها للكلاب المتوحشة ولا الذئاب، لا وجـود فيها للخوف والرعب، لا منافس فيها للإنسان. كانت فترة من فترات الزمـان، أن حل الأمن والسلام في أرض سومر، أرض الشرائع السماوية، كان العالم كلـه فيها يعيش في وحدة متكاملة، يصلي فيها لأنليل بلسان واحد، حتـى جاء زمـان غضبت فيه الآلهة على الإنسان...

في هذه المقاطع نرى أن السومريين هم أول من تحدث عن الجنة التـى عـاش فيها الإنسان زمناً قبل سقوطه نتيجة لغضب الآلهة عليه.

الآن نحاول مع آخر الدراسات الجغرافية والجيولوجية والتاريخيـة واللغويـة، التعرف على مكان "جنة عدن" أو "جنـة دلمون" المقترحـة استنـاداً إلـى الأدلـة العلمية التى وفرتها كل هذه العلوم مجتمعةً ولدينا هنا معلومـة جديدة التـى تؤكـد

أن تلك الجنة قد اختفت الآن تحت ما يزيد على مائة متر من مياه الخليج العربي، إذا كان موضعها عند رأس الخليج حيث ينتهي سهل العراق الرسوبي يوم كان جافاً منذ أكثر من عشرة آلاف سنة وإليكم تفسير ذلك بحسب الأدلة العلمية واحداً واحداً.

لنفحص أولاً الأدلة التي تضع جنة عدن كمكان على رأس الخليج العربي لعلها تعيننا في تحديد مكانها ولعلنا نحسم الجدل الاثارى والتاريخى الذى استمر طويلاً والى يومنا هذا.

* يشير (سفر التكوين) إلى أن جنة عدن تقع إلى الشرق ، أي بمعنى إلى الشرق من فلسطين ، وأن تحديد اثنين من الأنهار الأربعة المشارة إليهما في هذا السفر ، وهما (دجلة والفرات) هو أمر سهل وواضح . يبقى الأمر أكثر تعقيداً فيما يخص نهري (سيحون وجيحون) . أو جيجون (أو فيشون كما ذكر في سفر التكوين) .

يحيط بأرض الحويلة . وأرض الحويلة يمكن تشخيص موضعها بالعودة إلي العهد القديم (سفر التكوين فصل ١٠ : ٧ ، وفصل ٢٥ : ١٨) الذي يقدم لنا قائمة بأسماء الأماكن الواردة في ذلك السفر من أن موضع (الحويلة) يقع في الأطراف الشمالية الشرقية من الجزيرة العربية ، بإمتداد الشمال الشرقي دخولاً في أرض الرافدين ، تؤكد إشارة العهد القديم هذه الصورة الفضائية للمنطقة (Land sar) إذ تبين هذه الصور بوضوح مجرى نهر قديم ، يمتد عبر أرضي الجزيرة العربية الشمالية الشرقية (السعودية والكويت) وهو جاف حالياً وتعرف بقايا هذا النهر (بوادي رماح ووادي البطن) . وهذا النهر الجاف ،

الذي كان ينتهي شرقاً فوق رأس الخليج ، يخترق أرضاً غنية بالمقل (صمغ نباتي) ولا يزال يتواجد في هذه المنطقة من أرض الجزيرة العربية كذلك الذهب الذي كان يستخرج من مناجمه هناك في الخمسينات من القرن الحالي . هذا فيما يخص النهر الثالث (سيحون) .

تبقى مشكلة النهر الرابع (جيحون)، الذي يحيط بأرض الحبشة بحسب وصف العهد القديم .

في الواقع أن نسخ العهد القديم الاولى باللغة العربية فهى كانت تشير إلي أرض(كوشى) وليس الحبشة لأن مترجمي القرن السابع عشر لهذا الكتاب والقرون التالية أخرجوا نسخة مترجمة منه عرفت بتوراة (الملك جيمس) بإنكلترا . قد فسروا كلمة كوشى بأثيوبيا (الحبشة) والتي كما نعرف أن موضعها في أفريقيا الشرقية . وبهذا التفسير الخاطئ حير هؤلاء المترجمون الباحثين سنين طويلة بشأن موضع النهر الرابع (جيجون) .

وقبل أن نجزم هل أن أرض(كوشي) هذه هي الجنة لابد أن نقف عند هذا الحد ونذهب لنفصل بين (عدن ودلمون) فى الحضارات القديمة وربما هذا الامر يعيننا فى تحديد معنى الاسم ويوصلنا إلى هذا الفهم وإلى تحديد أولي للمكان ...

إلا أن إعادة تقييم بعض الأسماء والمصطلحات الجغرافية التي وردت في أسفار العهد القديم في النصف الأول من القرن الحالي من قبل أساتذة وباحثين متخصصين بعلم آثار العهد القديم والمياه الوفيرة وكيف فقدوا ذلك كله بتقبلهم الزراعة وتنكرهم لعطاء الطبيعة هذه فكانت خطيئة أولئك الرعاة السعداء، وهي خطيئة آدم وحواء وطلائع الفلاحين الأوائل أيضاً الذين أعطتهم

الطبيعة (الآلهة) كل شيء إلا أنهم تحولوا إلى فلاحين للأرض فحق عليهم الطرد من دلمون، جنة الرعاة، أو فردوس الحياة الحرة السعيدة الخالية من العمل والتعب والكد في الأرض.

بقت هذه الروايات والقصص، تتناقل شفاهاً لأكثر من ألفي سنة وقد عرفها وحفظها العراقيون الأوائل في جنوبي الوادى فسطروا هذه الذكريات على الطين بشكل أسطورة وأحياناً بشكل رمزي.

اما كيف وصلت هذه الحكايات إلى العراقيين وللإجابة على هذا التساؤل هناك إحتمالين قد يكون في أى منهما أو كليهما الأصل الذي أفشوا فيه حكاية أو أسطورة دلمون أو الفردوس المفقود.

أولهما: أن سكنة العراق الجنوبي الأوائل الذين سبقوا السومريين خلال الآلاف الخامس ق.م. الذين نطلق عليهم أثارياً اسم سكنة (عصر العبيد) قد أبحروا جنوباً بمحاذاة الساحل الشرقي للجزيرة العربية حيث استقدما من مستوطنات على ذلك الساحل زمناً والتقو هناك بأحفاد الرعاة الذين فقد أجدادهم أراضيهم الخصبة، واستمعوا منهم لإحداث تلك القصة المرعبة التي حدثت لأجدادهم فما كان من هؤلاء الأحفاد إلا أن يتناقلوها جيل عن جيل شفاهاً، وليضيفوا هذا الأمر إلى ما عرفوه من قصة دلمون الخضراء المفقودة التي ابتلعتها مياه الخليج. وقد ظل هؤلاء العبيديون العراقيون أسلاف السومريين بعد عودة الكثير منهم إلى جنوبي العراق يستعيدون هذه القصة حتى أصبحت كأنها قصتهم وعندما طور أحفادهم السومريون الكتابة أدخلوها بآدابهم كأنها واحدة من أساطيرهم.

ثانياً: ربما يكون أولئك الأسلاف العبيديون جنوبي العراق أنفسهم قد استجابوا للضغوط المفروضة عليهم للاستقرار والعيش بأكواخ وقرى فلاحية وما يتطلب ذلك من تعب وجهد في الفلاحة والزراعة والرى وتشييد القرى والدخول الى مجتمع يتطور بكل مشاكله الجديدة ومتطلباته المتزايدة. فصارو يجدون راحة وسعادة في استعادة الماضي الذهبي والماضي السعيد حين كانت الحياة أكثر عذوبة ويسر ورخاء وبساطة وراحة بعيداً عن الكد في الأرض، حين كانت الطبيعة تقدم لهم كل شيء جاهز فظلوا يستعيدون هذه القصة من الماضي المفقود إلى الحلم الضائع، الفردوس الأرضي، حيث الخضرة، والمياة الوفيرة. والنعيم الدائم، حتي تأصلت هذه الأحاديث في ذكرياتهم ومأثوراتهم الشعبية وعنهم أخذها أحفادهم من السومرين ودونوها في آدابهم على أنها حكاية لجنة فكان أجدادهم يقيمون فيها ثم طردوا منها بسبب غضب الآلهة عنهم.

دلمون وليس عدن
هي جنة السومريين وأرض الخلود

في حدود عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد أرتفعت درجة الحرارة في العالم عن معدلاتها خلال الألفي سنة السابقة مما أدى إلى زيادة في مياه البحار وارتفع ماء الخليج العربي تبعا لذلك وابتلع ما كان على شواطئهم الدنيا من أراضي خضراء ومواقع ومستوطنات بشرية كانت مقامة في أقسام من أراضيه الواطئة (حوضه)، حتى وصل الحد الذي هو عليه الآن. ثم استمر به الإرتفاع خلال أوائل الألفية الرابعة قبل الميلاد فصارت مدينتي (أور- وأريدو) موانئ عند سواحله الشمالية. وربما تكون هذه الزيادة في مياه الخليج في هذا الوقت بالذات سببا لكارثة الفيضان الكبري التى كانت قد دخلت الأساطير السومرية التى كان بطلها(أتونا بشتم) العراقي والتى انتقلت أحداثها إلى العهد القديم أيضا.

وكان الزيادة الأخيرة في مياه الخليج قد أتت على ما تبقي من جنة (عدن) فهرب ساكنوها والتجئوا إلى جنوبي العراق، كما التجأ قسم كبير منهم إلى سواحل الجزيرة العربية الشرقية وجزره البارزه كالبحرين وقطر وفيلكه لهذا نجد أن السومريين فى بعض أشعارهم وملاحمهم يتغنون دوماً بأن أجدادهم قد جاءوا من البحر (أوانهم من البحر) واستوطنوا جنوبي وادي الرافدين بعد أن غمرت مياه الخليج أراضيهم ومستوطناتهم وفقدوا جراء ذلك جنتهم الخضراء أو فردوسهم الأرضي وبمرور الزمن تحولت جنة السومريين وأرض الخلود من ذكرى غامضة في أرض مفقودة ابتلعتها مياه البحر إلى حقيقية وقد صححت الكثير من الإكتشافات الأثارية مما جاء في الترجمات التوراتية السابقة من

أخطـاء جغرافيـة أو تاريخيـة أو أثنولوجيـة اسـتنادا ً إلـى مكـشفات علـم الآثـار واللغات والأجناس البشرية كما عرفنا سابقا ً.

اما كلمة كوشى فقد ذهب عالم الآثار الشهير Speiser سبايزر من كونـها أى كلمة (كوشي) قائلاً كان لها علاقة أو كانت قد ذكرت في كونـها أرض الخلـود ونـاقش أصـلها الـذي جاء من كلمـة (كاشـو) أو (الكـاش) وهـم من الأقـوام الـذين استولوا على الحكم فـي (بابـل) فـي مطلـع القرن الخامس عشر قبل الميلاد بعد إنهيار الدولة البابلية القديمة التى أسسها العاهل البابلي العظيم (حمورابي ١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق . م)[١]، وبقوا في البلاد طيلة ما يقرب من أربعة قرون حتى طردهم الآشوريون من العراق في القرن الثـاني عشر. وأن أصل بلادهم هي الأطراف الشرقية من وادى الرافدين وخلص Speiser سبايزر إلى أن "جيحون" هو نـهر الكارون الذي يجري بإتجاه الجنوب الغربي ويصب فـي شط العرب. كما نـاقش عبارة العهد القديم التى تشير إلى (النهر الذي يخـرج مـن عدن فيسقي دلمـون ثـم يتشعب إلى أربعـة رؤوس)، قـائلا ً بأنـها أربعـة أنـهار تجرى قبل تكوينـها نـهرا ُ واحدا ُ يسير مخترقا ً جنة عدن .

ويـضيف سـبايزر مؤكـدا رأيـه بـأن الوصـف الـذي ورد فـي العهـد القـديم بصدد النهر المتشعب هو جاء أصلا ً نقلا ً عن ذكريات فولكلورية شفاهية دونـت بعد آلاف السنين من قبل أناس لم يتعرفوا على المنطقة أصلا كـانوا سـاكنين بعيد عنها بمئـات الأميـال وبهـذا ينتهـي Speiser سـبايزر إلـى القـول أن : جنـة عـدن

(١) سادس ملوك مملكة بابل القديمة واسمه مكون من كلمتين حمو بمعني الام ورابي ومعناها العظيم أو الكثير وقد حكم ثلاثة واربعين سنة ويعد في اعظم ملوك الواقد القديم للمزيد طه باقر : ١ / ٤٢٤

واستناداً إلى الأدلة الإشارية والجغرافية اللغوية كانت في مكان ما عند رأس الخليج العربي، أي في ذلك الزمان الذي كانت فيه الأنهار الأربعة كلها تتجمع بمجرى واحد وتسير في بقعة كانت حينذاك جافة من أرض الخليج العربي .

ولما عادت فترة الرطوبة من جديد (العصر الحجرى الحديث) وهطلت الأمطار بغزارة كالسابق في منطقة الشرق الأول التى تشكل من العراق ومنطقة الخليج والجزيرة العربية فعادت الخضرة إلى سواحل الخليج الشرقية والشمالية من الجزيرة العربية المطلة على الخليج العربي وصارت صالحة للسكن من جديد.

إن قصة الفردوس المفقود السومرية التى دونت بعدئذ أنما كانت تحكي ذكريات ومشاعر الرعاة والصيادين التى يصفون فيها الحياة السعيدة في الأرض الخضراء والمراعي الفسيحة. وفي هذا الرأي ربما يوصلنا إلى تحديد أولي لمعنى "دلمون" أو "عدن" أو "الجنة" موقنين من أنها كفكرة كانت تعود إلى فلكلور ديني قديم يخص منطقة الشرق القديم وأن الأقوام التى كانت قد أمنت به قد تناقلته شفاهاً جيل بعد جيل ، وصار واضحاً لدينا أن المكان كتحديد جغرافي يقع بين العراق والخليج العربى وليس كما يذهب البعض إلى كونه في الأصل في منطقة كوشى " أو كوش " وأن الجزم الآن في تحديد المكان الحقيقى بدون معرفة جذوره الفكرة أو الأسطورة في مجتمعات الحضارة القديمة يبدو حكماً متسرعاً الآن ... لكن لا بأس لو نقلب فكرة دلمون فى الحضارة القديمة وهي عدن أو الجنة أو الفردوس ... ونقتضى أثرها فى كثير من المقولات التاريخية والتوصيفات الجغرافية.

دلمون في الأساطير العراقية السومرية القديمة

لقد جاء ذكر دلمون في مطلع الألف الرابع ق.م، في الأساطير السومرية الشهيرة التى بدأت جذورها الأولى في عصر العبيد كما اسلفنا سابقاً (أواخر الألف الخامس ومطلع الألف الرابع ق.م): " أنكي وننخرسالك "، إنكى ونظام الكون، وجلجامش وأرض الحياة، رحلة إنكى وننخرساك إلى نفر، في منطقة القرنة[1] في العراق حيث يلتقي النهران دجلة والفرات، وحيث غابات أشجار النخيل كثيفة، والأشجار الباسقات متوفرة والخضرة طاغية والحقول وفيرة الغلال، ومكانها عند ملتقـــى الأنهار، كما أنها كائنة إلى الشرق من عدد من مدن سومر الواقعة على حافات الأهوار، ومكانها موضع شروق الشمس (أوتو)، يسكنها أوتانا بشتم، الناجي من الطوفان، وأنها شاطيء البلاد، ومسكن (إنكى) الذي يحكم جميع المياه العذبة، كما أنها أرض العبور وموطن السيدة النقية ننسكيلا "Nanskilla" ابنة الإله إنكي.

ولو عدنا إلى بعض مما أورد عن (دلمون) في عدد من الأساطير السومرية الأولى يذهب المرء في خياله الى أن كل هذا الوصف ينطبق في الغالب على مكان ما عند ملتقي النهرين في منطقة القرنه من جنوبي العراق وهي بهذا تختلف عن دلمون في العصور التاريخية اللاحقة التى لعبت دورا اقتصاديا منها في منطقة الخليج جنوبي وادى الرافدين والتى لم تذكرها أية

(١) القرنة: أحد المدن الواقعة فى محافظة البصرة جنوب العراق

نصوص تاريخية قبل سنة ٢٢٠٠ ق.م، كما ليست هناك أية أدلة على علاقات تجارية مع وادى الرافدين قبل هذا التاريخ.

والبعض الاخر يذهب الى غير ذلك فيقول أن "دلمون" الأخيرة هذه كانت تؤلف مملكة بحرية تقع عاصمتها في جزر البحرين وتضم معظم الساحل الشرقي من شبه الجزيرة العربية الكائن بين (فيلكا) في الشمال وحتى الجبل الأخضر في عُمان.

ويؤكد ذلك السيد لوفتس، المقيم البريطاني في البصرة، والذى كان قد انبهر في أواسط القرن التاسع عشر بمشهد الخضرة الطاغية في منطقة القرنة (العراقية) والمياه الوفيرة فكان أول من قرنها بمكان جنة عدن التوراتية منتصف القرن العشرين لكن يبقى هذا مجرد رأى قائم على قناعة شخصية وليس قناعة علمية أو أثارية حسب ما نعتقد أما الإستاذ: سبايزر أستاذ الأثار السومرية في جامعة بنسلفيا فذهب إلى نفس الرأي بصدد موقع القرنه ومكان دلمون التوراتيه في مقالته الشهيرة المسماة (انهر دلمون) التى نشرها عام ١٩٦٧.

كانت "دلمون" جزيرة تتمتع بقدسية خاصة، وفيها آلهة عبدها أهل العراق القدماء، وقد وصفت بكونها (أرض الخلود التى لا يوجد فيها مرض أو موت أو حزن...)، كما جاء في النص الذي نشر لأول مرة في عام ١٩١٥م، وترجمه فيما بعد عالم السومريات "كريمر" Kramer والمؤلف من ٢٧٨ شطراً،

والمنسق على هيئة ستة أعمدة، ويحمل عنوان إنكي)[1]، و(تنخرساك). يقول النص:

مقدسة هي المدينة التي منحت لكم، ومقدس بلد دلمون النقي مقدس سومر...، ومقدس بلد دلمون، بلد دلمون مقدس، بلد دلمون نقي، بلد دلمون مغمور بالنور، متميز بالإشعاع، يوم أقيم الأول في دلمون، حيث استقر إنكي مع زوجته، أصبح المكان هذا نقياً ومشعاً بالنور، الغراب لا يصيح في دلمون، والحجل لا توصوص و الأسود لا تفتق أحداً، والذئب لا يلتهم الحمل الوديع، لم يكن الكلب يتقن إخضاع الغزلان، ولم يكن الخنزير البرى يأكل الحبوب، لم تكن طيور السماء تأتي لتنقر شعير الأرملة وهو يجف على السطح، ولم تكن الحمامة تحنى رأسها، ولم يكن مريض العينين يشكو من مرض عينيه، ولا مريض الرأس كان يشكو من مرض رأسه، لم تكن أي امرأة عجوز تقول "إنني عجوز"[2].

كما يتخلل النص معلومات عن كيفية تعيين الإله إنكي أبنته: لتكون الآلهة الحامية لدلمون، حيث جاء في النص.

(ويجيب الأب إنكي ابنته نين – سيكيلا ليقيم أوتو[3] (إله الشمس) المستقر في السماء بإحضار المياه الحلوة من الأرض. من مصادر المياه من الأرض، دعيه يجعل دلمون تشرب من المياه بوفرة، فلتنتج أطيانك وحقولك قمحها، لتتحول مدينتك إلى مرفأً للأرض).

---

(١) د. فاضل عبد الواحد أهم الشخصيات ودورها في تاريخ العراق القديم بغداد ص ١٠٦.

(٢) من دلمون إلى تايلوس: مجلة البحرين الثقافية (المنامة ١٩٩٢) ص٩١.

(٣) أوتو إلهة الشمس عند السومريين.

كما يذكر النص بأن "ننخر ساك قد نجحت في إنبات ثماني نباتات في أرض دلمون، وبعد ان أكل الإله "إنكي" تلك النباتات وقع مريضاً: فغضب ننخرساك وانسحبت من صحبة الآلهة، وهددت بعدم العودة حتى يموت الإله إنكي، إلا أن الثعلب المكار، نجح في إقناع ننخرساك بالعودة، فوافقت على علاج الإله إنكي، وفعلت ذلك عبر إنجاب ثماني معبودات وإله؛ فمن عليه بعلاج أمراض الإله إنكي.

إن دراسة النص آنف الذكر؛ يعطينا مدلولات مقدسة، تؤكد أن دلمون هي الفردوس المنشود في المخيال القصصي للسومريين؛ فقد كان كل فرد سومري يسعي للوصول إلى أرض دلمون؛ كي يجد ضالته المنشودة في جنة الخلد والفردوس الموعود بها كما تذكر ذلك ملحمة جلجامش.

هل وصل جلجامش إلى دلمون؟

واستناداً إلى ما تم العثور عليه من آثار وشواهد مادية، مثلتها رسوم السفن الشراعية المنقوشة على الأختام والفخار، فإن هذه السفن لابد أنها كانت مصنوعة للقيام برحلات بحرية، وليس لرحلات نهرية فقط؛ لكون الأنهار التي تمتاز بالصغر والهدوء كانت لا تحتاج لسفن ذات أشرعة ، بل إلى زوارق ومشاحيف [1] تعتمد على " مردي "[2] واحد ، او عدة " مرادي " على وفق الحاجة ، فبإمكاننا ملاحظة أمثالها وهي تخوض مياه أنهار العراق بكل هدوء وانسيابية .

(١) المشحوف : كلمة تطلق على بعض الزوارق النهرية الصغيرة وهي معروفة الاستخدام الى الأن في اهوار العراق

(٢) المردي : العصا المصنوعة من القصب أو الخشب والذي يقع فها ابلام اهل الاهوار في المزارعين في جنوب العراق

لذا ، ليس بمستبعد قيام جلجامش برحلة من ذلك النوع إلى دلمون ، ما دام هناك فعلاً ، رحلات شقت طريقها عبر مياة الخليج الضحلة والعميقة ، حتى بلغت مدناً وأقاليم بعيدة ، امتازت بعلاقتها التجارية والحضارية الوطيدة مع أقاليم العراق القديم . لكن من المؤكد أن تلك الرحلات ، لم تكن منتظمة ، بل كان يغلب عليها طابع المغامرة والفردية ، معتمدة طريقاً ساحلياً قريباً من اليابسة ، ثم أخذت تنتظم بالتدرج حتى غدت حملات دائمة ومنتظمة ، في فجر الحضارة السومرية في حدود أوائل الألف الثالث قبل الميلاد . ولدينا دليل على أن الملك (ميس كيا كاشر) . قد ارتاد البحر ، واستكمن مواضعه . [1]

ولعله أفاد جلجامش مثلما أفاد غيره ، لأن المعلومات التي حققها ذلك الملك ، اعتمدها جلجامش في رحلته إلى دلمون . كما اعتمد جلجامش على معلومات بعض التجار المعاصرين ، لكن رحلته لم تكن تجارية ، كما توحي لنا الملحمة ، بل كانت لأغراض معرفية بالدرجة الأولى . لكنها حققت بالطبع ، فوائد تجارية ومعلوماتية ، بفضل المعلومات التي وفرتها الرحلة ، مثل أية رحلة أخرى ومن الطبيعي أن المعلومات المستمدة من تلك الرحلات ، كانت ثمينة ، لكون الرحلات التجارية كانت آنذاك سرية ومحددة ، بسبب الأخطار التي تعترضها في البحار . لذا ، لا غرابة في أن نجد قليلاً من الناس يقومون برحلة برغم ما تقدمه من فوائد وأرباح مادية مغرية ، اما سبب غموض تلك الرحلات وخشية الناس منها فنابع من محاولة التجار تغليف تلك الرحلات بهالة من التهويل والمبالغة لغرض صرف الناس عنها ، فصاحبة الحانة التي تمثل أنموذجاً لطبقة

(١) الباحث يتفق مع ما ذهب اليه السيد عبد الجبار محمود السامرائي في قصة ذهاب جلجامش إلى دلمون

التجار حاولت تضليل جلجامش وصرفه عن فكرة الرحلة رغم كلمات جلجامش المؤثرة التي حاول فيها إقناع صاحبة الحانة بغرضه من الرحلة قائلاً لها :

آه لقد غدا صاحبي الذي أحببت تراباً .

وأنا سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين .

فيا صاحبة الحانة وأنا أنظر لوجهم .

يكون بوسعي أن لا أرى الموت .

الذي أخشاه وارهب .

أما رد صاحبة الحانة فقد جاء بليغاً ودبلوماسياً ، إذ قدمت له وللبشر من بعده نصيحة رددتها الألسن والعقول قائلة :

(إلى أين تسعى يا جلجامش ؟

إن الحياة التي تبغى لن تجد ...

فليكن كرشك مليئاً دائماً .

وكن فرحاً مبتهجاً نهار مساء

وأقم الأفراح والرقص والعب وأجعل ثيابك نظيفة زاهية

وأغسل رأسك واستحم بالماء دلل صغيرك وفرح زوجتك فهذا هو نصيب البشرية...)

لكن جلجامش الذي أرهبه موت خادمه (أنكيدو) تجاهل تلك النصيحة رغم ما بها من حكمة ، وعقد العزم على المضي قدماً في رحلته المحفوفة بالمخاطر . لذلك كان رده على تلك النصيحة أنه طلب من صاحبة الحانة أن تدله على الطريق المؤدي إلي مكان وجود أوتو – نبشتيم ومؤكداً انه لن يتوانى عن عبور

البحار من أجل تحقيق ذلك أما إذا تعذر عليه الوصول فإن مأساته ستكون كبيرة ، ولن يجد فيما قالته صاحبة الحانة أي عزاء له ، بل سيفضل السكن في الصحاري على تلك الحياة الرتيبة غير المجدية .

بعد ذلك تغيرت نبرة صاحبة الحانة من النصح إلي التهويل والتخويف ، ولعلها ادركت أن جلجامش ، كونه ملك ، يتمتع بحياة مستقرة مختلفة عن حياة الناس العاديين ، سوف يعيد النظر في عالمه بعد أن يسمع منها تلك التحذيرات :

يا جلجامش لم يعبر البحر من قبلك أحد

أجل ! أن شمس القدير يعبره حقاً ولكن ، من غير شمس يستطيع عبوره ؟

إن عبوره شاق وعسير

وما عساك ستصنع حين تبلغ مياة الموت العميقة ؟

هنا نجد أن صاحبة الحانة قد بالغت كثيراً في وصف المخاطر التي تنتظر جلجامش وهذا الأمر نعزوه إلى طريق التجار في صرف نظر الآخرين عن رحلاتهم لكن قد لا يكون هذا هو السبب الوحيد ، قد يكون الراوي هو الذي وضع هذه السطور وأضفى عليها هذا التهويل . ومن الغريب أن صاحبة الحانة قد قدمت هذا الوصف لجلجامش الملك المطلع بالطبع على أسرار هذه الرحلات، بحكم عمله كراع للشعب ، وهذا يدعونا إلى التفكير في أمر أخر هو هل أن جلجامش كان راغباً في خوض مياة البحر العميق في وسط البحر وهو طريق لم يسلكه أحد من قبل لذلك وجهت له صاحبة الحانة تلك التحذيرات الصريحة التي ذكر فيها خطر مياه الموت العميقة ، كناية عن المخاطرة التي تكتنفها الأعماق .

لكن ما الذي دفع جلجامش إلي سلوك هذا الطريق غير المسلوك قبل ؟ هل هي محاولة لاكتشاف طريق آخر أقصر من الطرق المعتادة ؟ أم أن جلجامش كان يبغي المغامرة ؟ أو ملحة آدمية في الفصول والاكتشاف صاغها الخيال البشري أن لدينا دليلاً على أن جلجامش دفع إلى سلوك هذا الطريق غير المأمون ، لأنه هو الطريق المعتاد لملاح (أوتو نبشتم) ، لذلك لم يجد بداً من أن يسلكه .

وأمام إصرار جلجامش واندفاعه ، لم تجد صاحبة الحانة بداً من إخباره بالسبيل الذي سيوصله إلى أوتو نبشتم ، ناصحة أياه بمصاحبة " أور شنابي " ملاح أوتو – نبشتم وإلا فعليه أن يعود إلى وطنه . هنا أتجه (جلجامش) إلى الغابة حيث يوجد أور – شنابي ، ربما لأجل التأثير فيه أو مساومته . لذا لم يجد صعوبة في إقناع أور- شنابي بمرافقته إلى مسكن أو تو نبشتم ، بعد أن قام بإعادة بناء مركبه

إن وجود "أور- شنابي" المتكرر في أرض سومر ، يدل على وجود اتصالات تجارية مستمرة بين بلاد سومر وذلك المركز التجاري الذي يعيش فيه أوتو نبشتم ، كذلك لابد أن يكون لأوتو نابشتم وأتباعه دور في هذه التجارة ، وإلا كيف كانوا يحصلون على حاجتهم من البضائع والمواد الغذائية ؟

لكن أين يقع هذا المكان الذي قصده جلجامش في رحلته ؟ هل كان في حدود أرض العراق الحالية ، في منطقة شطب العرب مثلاً ؟ أو في إحدى الجزر القريبة من شاطئ العراق في الخليج العربي أم أنه كان يقع في مكان بعيد

نسبياً في وسط الخليج العربي ، كالبحرين مثلاً ؟ وهذا المكان المرشح من قبل كثير من الباحثين كون " دلمون " الحقيقية[1] ... وهذا ما سنناقشه بعد قليل

واستناداً إلي بعض المعطيات يمكن معرفة المكان الذي قصده جلجامش في رحلته إلى دلمون وهذه المعطيات هي

١- عبادة الإله أيا أو (انكي) : تؤكد بعض الدراسات أن هذه الإله كانت معبوداً في دلمون تحت اسم (إنكي) الذي ربما انتقل إلى العراق بفضل الاقوام الدلمونية ، فأصبح رديفاً لأسم " أيا " حيث تؤكد الدلائل الأثرية المكتسفة في البحرين ، وجود معبدين لهذا الإله في موقعين ، أحدهما يسمى (دراز) ، والآخر يسمى (سار) عثر فيهما على كميات من الأصداف وعظام السمك التي تمثل أهم نذور هذا الإله ، اما كيف وصلت هذه الالهة إلى البحرين فالبعض يقول ربما وصلت هذه الالهة إلي البحرين بفعل الطوفان ، وعمله المستمر للنجاة والخلاص منه لذا فقد نقله أوتو نبشتم إلي البحرين عرفاناً بفضله عليه كذلك يمكننا تصور أن الإله " أيا " موجود أصلاً في البحرين ، وأن اوتو نبشتم قد ساعد في نشر عبادته ، بعد مساعدته القيمية له . أو أنه وصل إلي الجزيرة فوجد أنه يعُبد من بعض سكانها فشاركهم في عبادته.

٢- الأتصالات القديمة بين دلمون والعراق :

(١) ينظر عبد الجبار محمود السامرائي ، المصدر السابق وكذلك من دلمون الى تايلوس

تؤكد بعض الآراء على أن السومريين استوطنوا في وقت ما أرض دلمون قبل انتقالهم إلى جنوب العراق . وتوضح لنا السطور الآتية أقدم وصف مدون لرحلة بحرية عرفها التاريخ :

ركب جلجامش واور – شنابي في السفينة .

أنزلا السفينة في الأمواج وهما على ظهرها .

وفي اليوم الثالث قطعا في سفرهما ما يعادل شهراً ونصف من السفر العادي .

وبلغ أور – شنابي مياه الموت العميقة .

ونادة جلجاميش قائلاً :

هيا يا جلجاميش أسرع وخذ مردياً [عموداً] وادفع به وحذار أن تمس يدك مياه الموت .

أسرع وخذ مردياً ورابعاً .

وبمائة وعشرين دفعة استعمل جلجاميش كل المرادي .

ثم نزع ثيابه ونشرها كأنها شراع .

تؤكد لنا هذه السطور أن المسافة المقطوعة في الرحلة كبيرة ، حتى بالنسبة للقدرات المستنفرة ، ثلاثة أيام ، والتي تعادل (خمسة وأربعين) يوماً من السفر العادي ، و لو علمنا أن طول الخليج العربي من ساحل البصرة إلي مضيق هرمز هو (ألف) كيلو متر وأن هذه المسافة يمكن قطعها فيما بين اربعة ايام إلى اسبوع فإن ثلاثة أيام تعني أن المسافة المقطوعة لابد أن تكون ما بين نصف إلى ثلاثة أرباع

المسافة الكلية، أي أن الرحلة قد قطعت في سفرها ما يقرب (خمسمائة) كيلو متر طولاً ، آخذين بنظر الاعتبار امتداد الخليج العربي إلي منطقة أهوار جنوب العراق . وهذه هي المسافة نفسها التي تفصل جنوب العراق عن جزيرة البحرين [1].

أما القسم المتعلق بخوضهما مياه الموت ، فقد وصفت لنا الملحمة طريقة تلافي مخاطر هذه المياة من خلال التعليمات التي وجهها [أور شنابي] إلى جلجامس ونفذها الأخير بكل دقة ، (وهي التعليمات التي أخذت حيزاً من النصف الثاني المذكور قبل قليل ، وهو ما يجعلنا نضع تساؤلاً حول ماهية هذه المياه . هل هي إضافة من الراوي غرضها التهويل ؟ أما أنها كناية عن المياه العميقة في وسط البحر حيث تمثل هذه المياه مصدر خطر على البحارة ؟

إن تحديد المسافة التي قطعتها السفينة أثناء عبورها مياه الموت يعد أمراً في غاية الصعوبة ، ولكن ، من الناحية الوصفية المسلم بها ، يمكن أن نعد تقديراً لهذه المساحة ويقدر ساعتين كتقدير معقول لقطع هذه المياه برمتها ، استناداً إلي تقدير يؤكد أن كل مردي يستغرف دقيقة حتة يكتمل الدفع به[٢] .

أما عند نزول جلجامش إلي بر الجزيرة " دلمون " فقد وجده مضيفة الذي لمحه من بعيد ناقماً على ملاحه الذي لم يحسن التصرف بمرافقة هذا الغريب وإيصاله إلى مقرها السري ، لكونه يعلم مقدار الصعوبات التي واجهها الغريب

(١) عبد الجبار محمود المصدر السابق

(٢) عبد الجبار محمود السامرائى المصدر السابق

قبل وصوله إليه ، وما سوف يحصل عليه مقابل ذلك لكن ، هل يصل الأمر إلى حد طرد ملاحه بسبب ذلك ؟ إن هناك أكثر من سبب خفي يدعوه إلي فعل ذلك ، لعل منها خشيته من أن يسبب مجئ جلجامش إلى الحزيرة بشكل خطراً على مركزه وتجارته ، والتحليل الاخير ينطبق على حالة أي مستفيد يخشى من مداهمة الأخرين له وتقويض استفادته من حجم استفادته وسيادته .

وفي قصة الطوفان السومرية إشارة إلى الناجي الوحيد في تلك الكارثة (اوتو نبشتم) قد كوفئ بمنحة الحياة الأبدية واسكن في" دلمون " وهناك رواية تقول أن البطل جلجامش قد سعى إلى جده أو أوتونبشتم للبحث عن عشبة الخلود او (شجرة الحياة) التي أبتعلتها الحية فحصلت هي على الخلود وخرج منها الإنسان . لقد ظلت دلمون لدى السومريين هي أرض الجنة والخلود فيها وليس فيها موت وأنها أرض السلام والمحبة يذهبون اليها للحج وربما لدفن موتاهم ! في أرضها الخالدة وهناك عشرات آلاف من القبور في جزر البحرين وعلى سواحل الجزيرة العربية الشرقية ويؤكد هذا الإعتقاد .

المعنى الظاهر في ترتيلة سومرية في أرض الموت والتى نقتطع منها هذا المقطع

مدينة تشرب الماء الوفير

دلمون تشرب ماء الرخاء

آبارها ذات الماء المر

تراها وقد تحولت مياهها عذبة

حقولها ومزارعها تنتج الغلة والقمح

مدنـها صارت داراً للشواطئ ومراسي الأرض

كانـت دلمـون مملكـة بحريـة تمتـد مـن عمـان حتـى فيلكـة فـي الكويـت ، وعاصمتها أى دلمون هي من أكبر جزر البحرين (المنامة) قلعة البحرين .

الآن السؤال الذي يفرض نفسه حين دون (سفر التكوين) وذكرت قصة جنة [عدن] فيه لماذا اختيرت كلمة [عدن Eden] للجنة وليس كلمة دلمون والتى كانت متداولة في أساطير السومريين كثيرا ؟.

ولتعليل السبب هناك من يقول بعد القرن الخامس قبل الميلاد تغيرت اللغة المستعملة في وادى الرافدين وحلت الكتابة الأرامية أو اليونانية محل الكتابة المسمارية، فتغيرت وضاعت بذلك كثير من الكلمات والمسطحات السومرية والأكدية والبابلية والآشورية، وتبعاً لذلك حصل تحول وتبدل كبير في كثير من النتاج الأدبي والفكرى العراقي القديم حين تم نقله إلى آداب الشعوب الأخرى ومنها العهد القديم. وإن التصحيحات التى أدخلت على هذه القصة بعد اكتشاف الخط المسماري واللغة السومرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولتحل رموز هذه الكتابات القديمة بدل الكلمات القديمة.

وهكذا ضاعت كلمة دلمون بسبب النقل والترجمة والتحوير والتقادم الزمنى وبقي مفهوم الكلمة [Eden] الذي يعني السهل الخصب أو السهول الخضراء وبقى اسم " Eden" وهذا الاسم الأخير هو الذي تم نقله من قبل مدوني سفر التكوين، ربما في القرن الرابع قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل.

غير أن دلمون في رأي " جورج رو" في كتابة العراق القديم يمكن أن تعني أى مكان خيالي يعود، وليس بجزيرة البحرين بالضرورة. أى أن ما تتمتع به

دلمون من موارد طبيعية وموقع جغرافي مهم بين العراق والهند يجعل منها مكاناً أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع وقد عثر على نصوص تبين من دراستها أنها عقود واتفاقيات عقدت بين تجار البحار وذلك بين مدينتي (أور) و (دلمون)، ويظهر أن أولئك التجار كانوا يستوردون النحاس من (دلمون)، وكان من جملة السلع التى استوردوها من (دلمون) الفضة و(عين السمك) أى الؤلؤ على أغلب ما يظن.

ويظهر من هذه النصوص ومن نصوص أخرى، أن الاتجار والصلات بين دلمون) و(أور) كان متصلاً ومستمراً. وأن جماعة من تجار (أور) كانوا يرسلون قوافل من السفن إلى (دلمون) للاتجار فيبيعون ما لديهم من بضائع من حاصلات العراق ومن المواد الواردة في العراق من أسواق بلاد فارس وبلاد الشام وآسيا الصغرى وربما من اليونان وأسواق أوربا. ويعودون ببضائع من البحرين ، هي في الغالب من تجار الهند أو أفريقيا وهي تشتمل علي المعادن والأخشاب والعطور والأشياء النفيسة الأخرى .

وقد عرفت البحرين باسم " دلمون" " تلمون" في نصوص السومريين وقد حملت هذه التسمية بعض العلماء على التفكير في أن ما ورد عن (جنة عدن) في التوراة، إنما أريد به هذه المنطقة التى تقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب وعلى سواحل الخليج .

وينفي "جورج رو" هذه النظرية، معللاً ذلك بأنه ليس هناك أية إشارة في أسطورة "دلمون" توحي لنا بكون هذه الجزيرة هي الموطن الأصلي للسومريين

- ويقول رو أيضا – فقد كان السومريون كغيرهم من الشعوب القديمة، يعتقدون بأن بلدهم هو "محور العالم" وأنهم الأحفاد المباشرون لأول المخلوقات البشرية.

بالرغم من عثور المنقبين على آثار معابد في مواضع من جـــزر البحرين ... وفي جملة ما عثر عليه في أنقاضها، بعض التماثيل وبعض الأحجار الكبيرة المثقوبة والتي كانت بمثابة مذابح تذبح عليها القرابين، فتسيل دماؤها من هذه الثقوب إلى حفرة تتجمع فيها الدماء، وقد تبين أن هذه المعابد هي من معابد العصر النحاسي والعصر البرونزى، وأن تاريخ بعضها يعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد.

وتشير النصوص المسمارية العراقية عند تطرقها للخليج العربي إلى ثلاثة مراكز يرد ذكرها سوية في الغالب وبموجب التسلسل التالى: دلمون (تلمون)، (مكان) (عمان) ميلوخاً (الهند). وذلك يدفع للاستنتاج بأن تسلسل الأسماء له علاقة بالمسافات التى تفصلها عن مراكز الحضارة العراقية القديمة.

ومن بين الأساطير الدينية التى تتعرض لذكر دلمون، أسطورة عنوانها (إنكى وننخرساك) وتسمي أيضاً بسبب موضوعها بأسطورة الفردوس، يرد فيها ما يلي والتي أشرنا اليها سابقاً: **(أن دلمون أرض نظيفة وأرض لا ينعق فيها غراب، وأسودها لا تفترس وذئابها لا تأكل الحمل، وأرضها خالية من الآفات والحيوانات المفترسة وناسها لا يعرفون المرض ولا الشيخوخة، ولكن يعوزها الماء، فتفجرت فيها عيون المياه العذبة بأمر الإله، إنكي، ولتكن رصيفاً لسفن سومر)** ومن المعلومات التى توفرها هذه الأسطورة يتبين أن الآلهة ننخرساك تعمد إلى خلق مجموعة من الآلهة يمنحها إنكي أقدارها ومن

هذه الآلهة، الآلهة ننتولا، وقدر لها أن تكون سيدة على "مكان"، والإله "انزاك"، وقدر له أن يكون سيداً على "دلمون" (1).

تثير هذه السطورة في موضوعها وعناصرها ومكانها جملة من الملاحظات الهامة نوردها في النقاط التالية :-

١- أن دلمون هي الجنة في نظر العراقيين، وهي موطن الآلهة وأرض الخلود والشباب الدائم والسلام والوئام. فلماذا أختيرت دلمون وليس غيرها من الأرضيين لتمثل موقع جنة السومريين وهل في ذلك من علاقة بأصل السومريين؟

٢- لقد وهبت الآلهة (دلمون) ينابيع المياه العذبة ونمت فيها أنواع النباتات، ولا يتفق هذا الوصف إلا مع منطقة البحرين بالحدود التى ترسمها لنا المصادر الإسلامية حيث تشمل جزر البحرين والأرض الساحلية المقابلة لها والمشهورة بيانابيع مياهها العذبة وكثافة نباتاتها.

٣- وبالإضافة إلى هذه المزايا الفريدة في دلمون، فقد قررت الآلهة أن تكون ميناء لتجارة السومريين، وهو ما يتفق مع شهرة دلمون في تجارة العراق الخارجية كما تكشفها النصوص التجارية.

٤- وتقرر الأسطورة بأن الإله (ننخرساك) هو سيد (دلمون) وإلهها الرئيسي. وأصبح لاقتران هذا الإله بدلمون أهمية كبيرة بعد اكتشاف

---

(1) J- Pritchard. (Ed) Ancieut Near Easternn Text, (ANET) Prinseton, 1969 P315, 267, P278-281.

حجرة في البحرين، ربما كانت أصلا حجرة أساس، تحمل كتابة مسمارية ترجمتها ما يلي: (قصر ريموم خادم الإله انزاك رجل (قبيلة) اجاروم)(١).

وتتأكد صفة دلمون على دلمون من مضمون أسطورة سومرية أخرى هي في الأرجح الأصل الأول لأسطورة الطوفان البابلية. حيث يلعب دور أوتونبشتم في الأسطورة البابلية شخص باسم (زيوسودر) المعروف بنوح العراقي) في الأسطورة السومرية والذي ذكرته التاريخ القديم لونه. وكان ملكاً ورعا مطيعا للآلهة. وكان يحكم بلاد سومر من عاصمته شروباك، ونفذ أوامر الآلهة مثل قرينه أوتونبشتم في بناء " الفلك " وإنقاذ نفسه ومن معه عليها من الطوفان وجزاء على فعلته منحته الآلهة (حياة مثل الآلهة. وتنفسا أبدياً) بمعنى أنه نال الخلود. ونقل إلى [دلمون] المكان الذي تشرق منه الشمس. وبذلك تتفق هذه الأسطورة مع سابقتها في تعيين فردوس العراقيين بأرض دلمون٢.

ويتردد اسم [مكان] في الأساطير الدينية التى يرد فيها ذكر دلمون، مما يجعلنا نستنتج وقوعهما في أماكن متقاربة وأن طريقاً واحداً يوصل ما بين المراكز العراقية وبينهما وهو طريق مواصلات مائية كانت تتوغل في مياه الخليج العربي ومن فقرات النصوص ذات الطابع الديني **الفقرة التالية:**

(في أور، بيت (معبد) دلمون يعود لي) (٣).

ينقلنا مضمون هذه الفقرة ودلالتها إلى علاقات متطورة بين الدلمونيين والعراقيين. ففي مدينة أورشيدمعبد خاص بالدلمونيين، وربما يشير ذلك إلى

(1) Geoffery Bibby: Looking for Dilmun, Proof Edition Book, P36, 37.
(2) J Pritchard: Opicit P. 34.
(3) Opcit P. 579.

تواجد جالية دلمونية ملحوظة العدد كانت ترعى المصالح التجارية بين الطرفين وبسبب أهمية هذه الجالية النابعة من اهمية نشاطاتها التجارية، وربما من موقع بلادهم الديني في نفوس العراقيين، فقد أحاطت الآلهة عشتار معبدهم في أور برعايتها.

وتبدأ نصوص دينية أخرى بتوضيح المكانة الإقتصادية لمراكز الخليج العربي، ففي قصيدة دينية سومرية عنوانها ((إنكي ونظام العالم)) نقرا ما يلي :

بلاد (مكان ودلمون) توجهتا بأبصارهما على أنا إنكي، وملئت قوارب "دلمون" وحملت قوارب "مكان" بكل سعتها، ونقلت قوارب ماكليوم (نوع من القوارب) الذهب والفضة من ميلوخا إلى نفر، لأجل انليل سيد جميع العالم.

وعليه فإن (دلمون) و(مكان)و (ميلوخا) تقع جميعا في الجهات الجنوبية للعراق على الخليج العربي، لأن السفن هي الوسائط الوحيدة التى يرد ذكرها في الإتصالات بين الجانبين. كما يبدو من سياق هذه النصوص أن أهل هذه المراكز ملاحون متمرسون وينشطون على خطوط نقل بحرية في الخليج العربي. وتؤكد ذلك قائمة بأسماء خطوط الملاحة أو مراكز المواني العراقية والخليجية دونتها لنا في النصوص المسمارية (قارب مارى، قارب آشور، قارب أكد، قارب دلمون، قارب مكان، قارب ميلوخا) ونستدل من النصوص الإقتصادية التى كانت تنظم الرحلات التجارية بين مراكز التجارة العراقية ونظيرتها الخليجية، على أن هذه المراكز كانت عقدا رئيسية على طرق التجارة القديمة.

وهكذا تضعنا النصوص المسمارية الأسطورية والدينية في المسار الصحيح لمعرفة جوانب التاريخ والحضارة في الخليج العربي في عصوره

القديمة. وستكون معلوماتنا أكثر تفصيلاً عند استعراض النصوص التاريخية والاقتصادية، بخاصة وأن هذه النصوص ترتبط بفترات زمنية محددة وتؤشر جوانب من النشاطات المباشرة بين الطرفين.

فمن عهد الأمير (أورنانشه) مؤسس سلالة لجش في حدود (٢٤٥٠ ق.م.) يصلنا أقدم نص يشير إلى الصلات التجارية مع دلمون. يشير النص إلى ما يلي :-

(وجلبت قوارب دلمون الأخشاب)

يبدو أن ثراء دلمون وغيرها من المراكز الخليجية مبرراً لسعي الحكام العراقيين وعملهم على تعزيز أواصر الصلة فيما بين الطرفين، واضطروا أحياناً لاستخدام القوة من أجل نشر الأمن على امتداد طرق التجارة في مراكزها.

فيخبرنا سرجون الأكدى (٢٣٥٠ ق.م.) بأنه ((مد بنفوذه إلى دلمون وإلي غيرها من المناطق، وأنه أبقاها تحت إمرة من يأتي بعده على الحكم)) وتتوضح أسباب اهتمام (سرجون) بهذه المراكز من نص آخر له يذكر فيه أنه **((حقق انتصارات عسكرية في ٣٤ حملة، واخضع جميع المدن إلى ساحل البحر، وجعل مزيدا من السفن تصل من ميلوخا ومكان ودلمون إلى ميناء أكد)).**

والمتوقع في مراكز بهذا الثراء والنشاط التجارى أن تكون ذات مقومات سياسية وإدارية وتنظيمية، بحيث يكون بمقدورها الإشراف وتنظيم سير الأعمال الإقتصادية الواسعة. نجد هذا واضحاً في نص للملك (نرام سين) تلميحاً إلى ذلك

عندما يقول فيه بأنه زحف باتجاه بلاد مكان وألقى القبض على (مانو دانو) ملك "مكان".

ويخبرنا كوديا امير مدينة لجش (حكم في حدود ٢١٥٠ ق.م.) في أحد نصوصه الكثيرة، عن ثروات وخصائص المناطق المختلفة المحيطة بالعراق، فيرد على لسانه ما يلي :

<u>((من عيلام جاء العيلاميون، ومن سوسة جاء السوسيون، وجمعت مكان وميلوخا الأخشاب من جبالها لأجل بناء معبد ننجرسو))</u>، ويقول في نص آخر **((تسلم كوديا الحجر الأحمر من ميلوخا بكميات كبيرة))** .

وبموجب هذين النصين نعرف أن (مكان وميلوخا) كانتا من مصادر المواد الخام التى حرص العراقيون على الحصول عليها بسبب ندرتها في الأرض العراقية، كما نعرف في نفس الوقت أن سوسة والعيلامين كانا من مصادر الأيدي العاملة.

وبسبب سعة واهمية تجارة الخليج العربي، فقد عمد ملوك العراق القديم لإخضاعها لرقابة مشددة، خوفا من تسربها إلى غير الموانئ الحكومية ، بمعنى تهريبها ويفيدنا "أورنمو" مؤسس سلالة أور الثالثة (٢١٠٠ ق.م) بهذا الخصوص ، بأنه **((بقوة ننار سيد مدينة أور ، أرجع السفن مكان الخاصة بنار إلي القنال المجاورة ، و جعلها مشهورة في أور))** .

لاحظنا فيما سبق من مقتطفات النصوص ، أنها غالبا ما تذكر مكان و ميلوخا بمعية دلمون ، و أنها جميعا يتم الاتصال بها بوسائل مائية من خلال البحر الجنوبي أي الخليج العربي .

و ترينا المصادر التاريخية والاثرية ايضاً في أن دلمون مكان جغرافي معين في وقت تجعلها الكتابات ذات الطبيعة الأدبية أرضا أسطورية ، و قد أيد الكثيرمن الباحثين أمثال فوكسويل ألبرايت[1] و بيننو لاندسبركير[2] و باروز كونها جزر البحرين . ثم أعقب هذه الدراسة بطرس برو كورنويل العلمية و النصوص التي برهن بها بأن دلمون هي دون شك جزر البحرين ، فسرجون الثاني الأشوري ذكر في نصوصه كون (أوفيري) ملك دلمون يعيش على مسافة تقرب من تسعين بيرو (ساعة مضاعفة) في وسط بحر الشمس المشرق (اينا قابال تامتيم نيبيج شامشي[3]، أو البحر السفلي كما يسميه نص آخر. ومعني هذا أن المسافة بين رأس الخليج العربي عند البصرة وبين دلمون ١٨٠ ساعة في سفينة شراعية، وفعلاً قام "كورونويل" بالرحلة بالسفينة المطلوبة ووجد أن المسافة بين رأس الخليج العربي وجزر البحرين تقارب هذا الرقم. وأيد كثير من الباحثين كون "تيللوس" الواردة في أريانوس[4]. مشتقة من كلمة (دلمون/ تلمون) التى ذكر أنها تبعد يوماً وليلة عن فهم نهر الفرات. وعشر في البحرين على نص مسمارى عليه العبارة (قصر ريمون عبد الإله آنزاك من قبيلة أكاروم) وتعود إلى العصر البابلي القديم (١٥٣٠ق.م – ١٩٥٠)[5].

ونعرف فعلاً أن الإله انزاك هو الاسم الذي عبد ربه أي الالهة آنو في دلمون. وتذكر المصادر المسمارية عن جلب تمر دلمون إلى العراق وشهرته فيه

(1) American Journal of Semitic Languages and Literature , (AJSL) , vol.35,pp . 182 ff .
(2) Zeitschrift vur assyrologie, 2A , Vol , 35 n . t , pl 27
(3) D. D. Luckenbill, Ancient Records of Babylonia and Assyria, (ABAB), (Chicago, 1926), Vol. 2, No. 970.
(4) Arrian, The Anabasis of Alexander, VII, 20;6.
(5) Journal of the Royal Asiatic Society (JRAS), n. s. Vol. 12, (1880), pp. 189 ff.

ونعرف الآن عن وجود التمور في القطيف والهفوف وجودة تمورها. ويرجع كثيرا أن الساحل الغربي للخليج العربي كان ضمن مملكة (دلمون) كما تشير إلى ذلك كتابات الملك الآشوري سرجون الثاني.

موقع دلمون وفق تصورات العراقيين

دلمون كانت ذات شهرة عند السومريين، فقد ذكرت في الأساطير السومرية التى نعتت أرضها والنقاء وتحدثت عن علاقة الرب أنكى (أيا) رب الماء والحر والحياة السومري معها وكيف أنها أرض سلام وصحة وذات مياه وافرة، فنقرأ في أسطورة أنكي وننخورزاك المعروفة بأسطورة دلمون ما نصه:

المكان طاهر.

أرض دلمون طاهرة.

أرض دلمون طاهرة.

أرض دلمون طاهرة، أرض دلمون نظيفة.

أرض دلمون نظيفة، أرض دلمون الأكثر لمعاناً.

من الذي يستلقي (بنفسه) في دلمون.

بعد أن استلقي أنكي مع زوجته.

ذلك المكان طاهر، ذلك المكان الأكثر لمعاناً.

لا ينعق الغراب في دلمون.

ولا يطلق طير الأتتيدو صحية ألم طير الاتتيدو.

الأسد لا يفترس.

الذئب لا ينهش الحمل.

والكلب المسعور الذي يفترس ... غير موجود.

و ... ... الذي يلتهم الحبوب غير موجود.

....

الطير لا ينعكس رأسه

ومريض العينين يقول أنا لست مريض بالعينين

والذي يشكو من وجع الرأس يقول أنا لا أشكو من وجع الرأس.

والمرأة العجوز تقول أنا لست عجوزا.

والرجل العاجز المسن يقول أنا لست عاجزاً مسناً.

البنت لا تسبح حيث لا يوجد ماء فاتر في المدينة.

....

المغني لا يطلق نواحاً.

ولا يصدر منه في المدينة أى بكاء

قالت نينسيكيللا إلى والدها أنكى

لقد أعطيت المدينة، المدينة التى أعطيت.

أجاب الأب أنكي أبنته نينسيكيللا

ليطلق (الإله) أوتو الذي يقف في السماء.

من الفم حيث تخرج مياه الأرض، ماؤك الحلو من الأرض

....

ليجعل المدينة يشرب منها مياه غزيرة

وبئرك ذات الماء المر تصبح ذات ماء عذب (حلو)

وحقولك ومزارعك تحمل حبوبك

لقد صارت دلمون بيت رصيف ميناء شاطئ البلاد

....

أنكى أمام نينتر العاقلة (أم البلاد)

سقي بعضوه التناسلي السدود بالماء.

وغطس بعضوه التناسلي القصب.

وقال أنكى لا يسير أحد في الأهوار

ثم تذكر الأسطورة كيف أن الرب "أنكى" جلب الخيار والتفاح والعنب. وبسبب اتصال أنكى بثمان نباتات منها نبات العسل ونبت شوط الطريق ونبات الشوك والكبر والقرفة، ومن جملة الأرباب التى خلقتها الآلهة ننخورساك من أجل هي الرب نينتوللا رب ما كان وجعلت أينشاك ربا إلى دلمون(1).

ولكن دلمون تحتاج إلى الماء العذب الضروري إلى الحياة الحيوانية والنباتية. فأمر الرب السومري (أنكى) زميله الإله (أوتو) أن يملئ الجزيرة بالماء العذب الذي ينبع من الأرض فتحولت (دلمون) بذلك إلى جنة خضراء بحقول مليئة بالفاكهة والمروج التى خلقت بها الربة الأم العظمى ننخورساك ثمان نباتات بعد عملية معقدة اشتركت بها ثمانية أجيال من الربات أنجبها جميعها الإله (أنكى) ولدوا جميعهم (كما تذكر الأسطورة) دونما ألم ولكن ربما بسبب رغبة (أنكي) في تذوقها فعمل رسوله (أسيمود) ذو الوجهين على قطفها الواحدة بعد الأخرى وإعطائها إلى سيدة أنكى الذي تناولها. وعلى ذلك

---

(1) James Pritchard, Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament, (Princeton, N. J., 1955), p. 44.

قرأت عليه الربة (ننخورساك) لعنة الموت. ويظهر أنها اختفت بين الأرباب بعد ذلك حتى لا تبدل رأيها. وأخذت صحة (أنكى) بالتدهور وصارت ثمانية من أعضائه مريضة. وفي الوقت الذي تدهور فيه صحة أنكى جلس الأرباب العظام على الأرض. ويظهر أن أنليل لم يكن ليتماشي مع هذه الحالة، ثم تكلم الثعلب وأخيرا أنليل فذكرت الاسطورة ما نصه أنه لو يعرف بأنه سوف يكافئ لجلب ننخورساك ثانية. وقد نجح الغراب إلى حد ما في إرجاع الربه الأم إلى الأرباب كيفما تعالج وتشفي أنكي الذي كان في طريقه إلى الهلاك التام. وبعد ان سألته عن الأعضاء الثمانية المريضة من جسمه خلقت الربة الآم ثمانية أرباب شفاء وهكذا استرجع أنكى صحته ثانية. فدلمون السومرية حسب هذه الأسطورة كانت في دلمون. وتذكر القصيدة السومرية كون ضلع الرب أنكى أحد أعضائه المريضة. والكلمة السومرية لضلع هي "تى"، واسم الربة التى خلقت لمعالجة الضلع اسمها نين تي (سيدة الضلع)، ولكلمة تي معنى آخر في اللغة السومرية وهو السيدة التى تصنع الحياة وبذلك يكون معني (نين تي) هي السيدة التى تهب أو تسبب الحياة [1].

وتطلق أسطورة الطوفان السومرية أسم أرض العبور التى ربما أراد بها عبور الشمس حالاً بعد شروقها من الشرق:

في أرض العبور، أرض دلمون، المحل الذي تشرق منه الشمس.

جعلته الأرباب (زيو سيدرا) يستقر[2].

---

(1) Samuel Noah Karamer, from the Tablets of Sumer, (Indian Hills, Colorado, 1956), P. 170-171.
(2) Pritchard, op. cit.

فبعد أن رسى الفُلك بعد الطوفان وانتهت الأزمة حبت الأرباب بطل الطوفان السومري زيوسودرا (أوتو نبشتم) بالخلود يقطن دلمون، الأرض التى يصطفيها الجميع. فدلمون **إذن هي بلد الخالدين الذين تمنحهم الأرباب الحياة**[1].

وربما تكون نبتة الخلود التى أخبر أوتو نبشم جلجامش عنها عندما قابله في مقره هي اللؤلؤ. فكما يضع الغاطسون الذين يبحثون عن اللؤلؤ عند نزولهم البحر إلي أرجلهم ربط جلجامش برجليه الحجر . ومن الجدير بالذكر ان الملكة (كليوباتره) قد شربت لؤلؤا مذابا في الخمر . ونحن نعرف أن ثلاثة من الاوعية المريضة العديمة القاعدة المعاصرة إلي زمن القصر في قلعة البحرين احتوت على عظام حية . وفي بعض الاوعية التي فيها هيكل الحية وضعت خرزة والحدة من الفيروز صغيرة . وربما كان لهذا الطقس علاقة مع قصة جلجامش بكون الحية هي التي أكلت اللؤلؤة . وأن الحياة في الصحون المغطاه هذه التي وجدت تحت الارضية لها أهمية دينية أو سحرية . وتعتبر اللؤلؤة رمز التخلص من المرض والشيخوخة والموت التي اشتهرت بها دلمون وترددها على الأقل اسطورة واحدة .

واعتقد البعض بأن ملحمة جلجامش لا تزال حية وجزء من دين حضارة البحرين عندما كان القصر في قلعة البحرين مسكوناً . وعثر على الكثير من مدافن الحياة أرضيات الغرف الأخرى يصل إلي حدين الأربعين . وربما يتم ذبح الحية عند موت أو ميلاد فرد من أفراد العائلة أو أن البناية ليست قصرا بل

(1) Kramer, From the op., p. 181.

معبداً تقوم بكلتا الوظيفتين وكون أواعي الحية هي عطايا المتعبدين الذين ينشدون الصحة وطول العمر (١).

وقد ذكرت سفينة مكان كما ذكرنا في الأسطورة السومرية المعروفة بأسم أسطورة جلجامش وأرض الأحياء التي تعود إلى العصر السومري القديم. ثم في أسطورة أنكى والنظام الكوني من نفس العصر. فقد ذكرت الأخيرة كيف أن أرض "مكان" و"دلمون" نظرتا إلى الرب أنكي كي يباركهما فربط سفينة دلمون وحمل سفينته ما كان إلى الأعلى وكذلك سفينة "ماكيلوم" الخاصة بملوخا (وادي السند). وقد ذكرت سفينة "ماكيلوم" في أسطورة جلجامش وأرض الأحياء مع ما كان والاثنين تشيران دون شك إلى طبيعة هذه المناطق البحرية وكون السفن من نوع (الماكيلوم) معروفة في كل من مكان وملوخا (٢) .

ونقرأ في أسطورة أنكي والنظام الكوني كيف أن سفن ملوخا تنقل الذهب والفضة إلى معبد (الأيكور) الخاص بالإله أنليل في نفر مما يدل على علاقة بين هذه البلاد ونفر وتقديس أهل ملوخا للرب أنليل. ثم تتعرض الأسطورة إلى أنعام أنكى علىأرض ملوخا بالخير والبركة حتى تصبح أشجارهم باسقة وارفة الظل ورجالهم محاربين يتقنون استعمال السلاح. ثم عاد أنكى إلى دلمون وطهر أرضها وأكل من سمكها (لأن السمك هو الطعام المفضل عند الرب أنكي) وتمرها. علماً بأن السمك متوفر في دلمون باعتبارها بلداً بحرياً إلى جانب شهرتها في التمور المعروفة باسمها.

---

(1) Bibby , Loking , op . cit ., pp. 180 – 182 .
(2) Ibid , 18 :16 - 63

ولكن أول ذكر إلى دلمون في النصوص التاريخية العراقية المتوفرة لنا جاء على حد معرفتنا الحالية في نص إلى "أور نانشه" حاكم مدينة لكش (تللو) قرب الشطرة في محافظة الناصرية من العصر السومري القديم. فقد ورد في نص لهذا الحاكم (أن سفن دلمون سفن دلمون جلبت له (لاور نانشه) الخشب كجزية من بلاد أجنبية[1]. فالنص يذكر استخدام أور نانشه لسفن دلمون في جلب الجزية من الخشب مع بلاد أخرى إلى "الكش". وهذه العبارة تدل على تملك "دلمون" بهذه الفترة لسفن لابد وأن كانت كثيرة وكبيرة قادرة على السير في أعالي البحار والتي كانت تؤجر لنقل المنتجات.

ولا نعرف إن كان النص يدل على قيام مدينة دلمون نفسها بإرسال الجزية من الخشب إلى (أور نانشه) إذ ليس في النص ما يشير إلى ذلك إلى جانب كوننا لا نعرف البلاد الأجنبية التى أرسلت الخشب كجزية إليه ولكن الجزية قد مرت بالخليج العربي وحملتها سفن دلمونية وربما كانت من بين الأقطار التى أرسلت الجزية من مناطق في الخليج نفسه أي ربما تكون دلمون.

وأن الملك سرجون الأكدى (٢٣٢٥ ـ ٢٢٦٩ ق.م.) كما نقرأ في وثيقة الأخبار من العصر البابلي الحديث قد عبر " بحر شروق الشمس " (تأمتي اينا صيئيت شمشي ايبير) [(٢)]. والنص مع الأسف غير واضح حيث لم يذكر لنا ما عمله "سرجون" بعبوره لا أسماء قرى أو أماكن أو حكام ولا سعة المنطقة التى غطاها بعبوره. ونقرأ نص آخر لسرجون الأكدى ما نصه (أن غنائمهم (سكان

(1) Samuel Noah Kramer, The Sumerians, Their History, Culture and Character, (Chicago, 1964), p. 308.
(2) King, Chronicles concerning Early Babylonian Kings, 11, (London, 1907), p. 8 FF. 1. 2.

بـلاد غـروب الـشمس) قـد نقلهـا عـن طريـق بـلاد أرض البحـر (شـالا سـونو اينامانااتي تامتيم أو شيبيرا)(١). فسرجون الأكدي بعد أن وحد المناطق الغربية نقل غنائمها إلى بلاده عن طريق بلاد "أرض البحر" أى عن طريق البحر ثم الخليج العربي.

ويظهـر أن بـلاد " أرض البحـر " قـد شـهرت الـسلاح مـرات عـدة علـى "سرجون" الأكدي حيث يذكر لنا في النص المعروف بأسطورة ميلاد سرجون، وهو نص غير واضح مثل بقية نصوصه ولا نعرف مدى الثقة التى نوليها به فيذكر محاصرته للمنطقة ثلاث مرات (ماتي تيامات لو – أوو أل – مـا – أ ٣ – شو) (٢). فربما تشير هذه الأسطورة بهذا الخبر التاريخي عن علاقة سرجون بمنطقة أرض البحر. وإذا كان سرجون الأكدى قد سار فعلاً ثلاث مرات إلى منطقة أرض البحر فلابد أنها كانت ذات موقع استراتيجي هام في العالم القديم والذي ربما يعود إلى موقعها الجغرافي ومواردها الطبيعية إضافة إلى احتمال تملك بلاد أرض البحر لقوة كبيرة بدليل أن سرجون الأكدى وجد من الضرورى الذهاب ثلاث مرات لإخضاعها. وهذا يقوي الإحتمال بوجود سلالة حاكمة في بلاد أرض البحر خلال حكم سرجون الأكدى. وربما تكون هذه المملكة هي مملكة دلمون. وتظهر أهمية أرض البحر بتأكيد سرجون الأكدي عليها في كافة نصوصه بما فيها أسطورة ميلاده[٣]. وإلى جانب هذه فقد أخبرنا سرجون عن وصول سفن ملوخا ومكان ودلمون في رصيف الميناء أمام عاصمته أكد (٤).

(1) Ibid, 11, p. 131, 1. 26.
(2) Ibid, 11 p. 92, 1. 18.
(3) Dougherty, The Sea Land, op. cit., pp. 9-10.
(4) George A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, RISA, (New Haven, 1926), p. 108.

ولدينا كذلك نصوص عراقية يرجع تاريخياً الي العصر الأشوري ثيراي غير ذلك .

اسم ملك مكان هو مانتو دانتو (ومعناه من هو القوي في اللغة الأكدية) . ولا نعرف أن كان هذا الاسم هو اسم الملك الحقيقي أو أنه ترجمته الي اللغة الاكدية . فاذا كان هو اسمه فيدل علي تأثير مكان الكبير بالحضارة العراقية ، كما اخبرنا نرام سن في نص آخر عن قطعة لأحجار جبال مكان ونقلع اياها الي اكد[١] .

ونعرف من الفترة الاكدية عن الشعبية البالغة التي حصلا عليها عبادة الرب كيريريشا الربه الام العظمي عند الميلاميين التي كان نركز عبادتها الرئيسي في مدينة ليان بجزيرة يوشهر في الساحل الشرقي للخليج العربي . وقد اقترح البعض بانها هي نفسها الربه بينكير التي رأي فيها الاكديون نمطاً من الألهة عشتار[٢] . وتعني كيريريشا الالم العظمي وبذلك ربما يكون أحد القاب الربه بينيكير . ومن الجدير بالذكر أن جميع النصوص التي عثر عليها في ليان مكرسة لهذه الربه[٣] واقدم نص من هذه النصوص مدون في اللغة الميلامية وهو عبارة عن كتاب لحاكم غير معروف من حكام ليان وربما اتت من مزار الربه هناك . ويصف هذا الامير نفسه في النص كعبد لهذه الربه وبالتذريج

(1) Ibid pp . 140 – 142
(2) F . W . Koenidg , Pinkir , Archiv fuer Orientforschung , AFO Vol , 5 (1928 – 1929) P . 102 .
(3) M. Pezard , Mission a Bender Beuchir , Documents Archaeo – logiques et epigraphiques , Mission de Perse , (MDP) , Vol . 15 (1914)

تغلغل طقس هذه الربه العظمي من منطقة الخليج العربي إلي بلاد شوشيان في عيلام (1)

ونقرأ في نص عن اولاد الملك الكوتي انونبانيني من حوالي ٢٠٠٠ ق . م Annubanini الذي ربما وصلت حدود ايامه منطقة سربيل زهاب جنوباً بدليل اكتشاف منحوته له علي واجهة جبل هناك . وفي هذا النص يمدح أنونبانيني اولاده . ويذكر أن عددهم سبعة وهم ميمانداخ Mimandakh وميدودو Midudu وكوكوبياش Kukupiash وتارتادادا Tartadada وبولداخ Buldakhakh وأخودانادیخ Akhudanadikh وخارشاكيدو Kharshakidu ويصفهم بالنبل والمجد وكون أمهم ميليلي Mılili ويقدر عدد جيوشهم بـ ٣٦٠ ألف ثم يتعرض الي غزو اولاد أنونبانيني الي دلمون ومكان وملوخا وذبحهم جميع الاقطار في وسط البحر . وقد تكون الاخيرة من مناطق الخليج العربي .

وأخبرنا ريموش خليفة وابن سرجون الاكدي(٢٢٦٨ – ٢٢٥٩ ق . م) من عزوة ملوخا التي ربما تدل علي امتداد سيطرته لتشمل كل مناطق الخليج العربي ووصولها الي أبعد من ذلك لتشمل مناطق المواد الخام ، وان تاريخ ريموش مقارب الي زمن مستقر هاربيا في لوثال ولكن ليس هناك دليل اثاري غزو ريموش لملوخا هذا . ومن الجدير بالذكر أن الغزو والجزية في العالم القديم ليس من الضروري دائماً ان تكون غزواً واقعياً .

(1) I . E . Edwards , and others CAH , Vol . 2, Part 1 , (1971) , P . 663

وفي زمن خليفته واخيه مانيشتوسو (٢٢٥٨ – ٢٢٤٥ ق . م) نقرأ عن اخضاعه لمنطقة شيريخوم علي الساحل الشرقي من الخليج العربي (عبر البحر السفلي حسب تعبيره تيئا متيم شبليتيم ايليببي ايبير) . وقد أخبرنا مانيشتوسو عن تجمع ٣٢ ملكاً من ملوك شربخوم للحرب معه ولكنه دحرهم ، حسب قوله جميعاً واطاح برؤسائهم وسيطر علي جميع البلاد حتي مناجـــم الفضة (خوري كاسبيم) وكذلك الجبال في ما وراء البحــــر الأسفل (ابارتي تيئاً متيم شبليتيم) ، فنص الملك "مانشيتوسو" هذا صريح ومهم حيث تصور وجود تنظيمات سياسية (دويلات أو قبائل) في الساحل الشرقي للخليج العربي دحرمن زعمائها ٣٢ ثم وجود الفضة التي لابد ان كانت بايادي هؤلاء الرؤساء وعن وصوله بعد ذلك إلي الجبال الواقعة وراء الساحل التي ربما قصد بها الجبال عند الساحل الشرقي . ولم يذكر "مانيشتوسو" ذهابه لهذه الاصقاع لاخماده ثورة مما يدل علي رغبته في السيطرة علي مناجم الفضة التي تمكن من الاستحواذ عليها [1] . ويظهر أن شيريخوم قد ثارت علي الاكديين بعد وفاة مانيشتوسو حيث نقرأ عن ذهاب الملك نرام سن (٢٢٤ – ٢٢٠٧ ق . م) لأخماد عصيانهم . ويبدو ان انتصار نرام سن في حملته ضد شيريخوم هذه كان ساحقاً بحيث جلب ملك شيريخوم أسيرا الي بلاد أكد مع غنائـــم (ايربي) وعطايا (كيشاتي) الي الرب شماش، وقد ذكر لنا نرام سن عن غزوه مكان دون ان يقدم لنا أي اسباب لذلك الغزو وذكر سفينة واحدة محملة بخشب سمكها ٢/٣ الذراع ومزمرية (يورام) من غنائم مكـــان (نامراك ماكان) . وكون

(1) RISA , pp . 128 – 130

السفينة علذ هذا السمك يدل علي دقة صناعة السفن في مكان القادرة على ركوب البحر ومقاومة اخطاره [1] وأخبرنا نرام سن بأن ومن بين نصوص الفترة الكاشية رسالتان عثر عليهما في نفر، أرسلتا في الأصل من دلمون، وتفيد معلومات هاتين الرسالتين بأن أقساماً من الأرض الساحلية المقابلة لجزر البحرين هي جزء من بلاد دلمون القديمة. وأن المناطق الساحلية كانت تشهد انتشار قبائل الأخلامو[2]، كما يرد ذكر سفر امرأة سوتية إلى دلمون.

إن (الأخلامو – والسوتو) وهم مجموعة من القبائل الآرامية التى وردّ ذكرها سوية في النصوص الآشورية منذ عهد" أددنراري " ١٣٠٠ ق.م. وربما تمثل الإشارة إلى ظاهرة سفر المرأة لما كانت تحتله من مكانة متميزة، وهو أمر ليس بالغريب على القبائل العربية الشمالية، حيث نعرف من كن ملكات وكاهنات.

وتكشف لنا الرسالتان عن نمطين حياتيين كانا شائعين في دلمون هما النمط البدوي والنمط الزراعي، فسكان القري الزراعية المتميزون بإنتاج التمور من حقول البساتين الكثيفة، يجاورهم سكان البادية من الأخلامو.

وعندما تبدأ النصوص الآشورية بتقديم معلومات عن الخليج العربي، تحدث اختلافاً بين الباحثين، لأنها تغفل ذكر دلمون أحياناً وهي تتكلم عن "مكان" و"ميلوخا"، كما أنها توحي عند الحديث عن مواقع مكان وميلوخا وكأنهما في جهات غريبة من العراق في مصر الحبشة أو أمكنة قريبة منهما.

---

(1) Ibid , p . 138

(٢) الاخلامو : كم تذكر بعض المصادر الاثارية هم مجموعة من القبائل العربية الجزرية القديمة .

ومع هذا الارباك الذي تحدثه بعض النصوص الآشورية، فإن نصوصاً أخرى تحدد مواضع دلمون ومكان وميلوخا في أماكنها الصحيحة التى درجة النصوص العراقية قبل العهد الآشوري بتحديدها، وهي في الخليج العربي، أو أن طريق الرحلات فيه يفضي إليها.

ومن هذه النصوص ما ورد على لسان سرجون الثاني الآشوري (أواخر القرن الثامن ق.م.) حيث نقرأ في قسم من النص ما يلي: ((أوبيري ملك دلمون الذي يعيش مثل السمكة على بعد ثلاثين بيرو في وسط البحر الذي تشرق منه الشمس)). وبما أن البيرو تعني الساعة زمناً في العهود البابلية، وتساوي ضعف زمن الساعة الحالية، فتكون المسافة التى تفصل بين دلمون وفم الفرات بحوالى (٣٠٠) ميل، وهي نفس المسافة الحالية بين البحرين وفم الفرات.

وبذلك حدد الموضع الصحيح لدلمون من قبل الآشوريين، بينما أبعدت عنها (مكان وميلوخا) في نصوص أخرى، علماً بأن جميع النصوص التى تسبق العهد الآشوري تضع المواقع الثلاثة في اتجاه واحد، وبالتسلسل الذي أشرنا إليه فيما سبق.

ومما يؤكد وقوع الكاتب الآشوري في خطأ، أو أن لبساً يحيط بمعلوماته الجغرافية، هو أن نصوصاً آشورية أخرى تعاود التقليد القديم في ذكر الأسماء الثلاثة سوية وبنفس التسلسل. فيرد على لسان سنحاريب مثلاً (مطلع القرن السابع ق.م.) واصفا نفسه بأنه ((ملك ملوك دلمون ومكان وميلخا)).

وقد أثيرت مناقشات حول تحديد المواضع القديمة لكل من مكان وميلوخا، وسببتها إشارات النصوص الآشورية أيضا. وعلى العموم نجد أن معظم

الباحثين يتفقون تقريباً في تحديد مواقع المراكز الثلاثة، فيما عدا عالم المسماريات (صموئيل نوح كريمر) الذي يختلف معهم في تحديد مواضعها، فيري في بلاد دلمون مكاناً على الساحل الشرقي للخليج العربي في مكان ضمن بلاد عيلام القديمة كما يعتقد أن ميلوخا تطابق الحبشة.

وتولى الباحث (كورنوال) من خلال مقالات مستفيضة إثبات كون دلمون تتطابق مع بلاد البحرين.

بينما تولى الباحث (ليمنز) مناقشة موضوع أماكن كل من مكان وميلوخا بالتفصيل مستندا إشارات النصوص العديدة، ومستفيداً من مناقشات غيره من الباحثين ومنهم غلب (Gelb) واوبنهايم وغيرهما فيصل إلى تحديد موضع (ميلوخا) بمراكز الحضارة القديمة في وادى السند.

وتتكرر الإشارات من عهد الملوك الآشوريين المتأخرين ومنهم "سنحاريب" و"آشور بانيبال" إلى دلمون، دون غيرها من مراكز الخليج العربي، كما أن معظم النشاطات التجارية قد تمت من خلال ازدهار المياة السياسية والإقتصادية في مملكة " القطر البحري " التى أصبح لها شأن خطير في أحداث الأقسام الجنوبية من العراق في أواخر العهد الآشوري.

لذلك فالأرجح أن الأوضاع السياسية التى أحاطت القسم الجنوبي من العراق وبزعامة بابل ومملكة القطر البحري، والعلاقات المتردية بينهما وبين الآشوريين وبين مراكز الخليج العربي في الوقت الذي ازدهرت هذه النشاطات مع مدن مملكة القطر البحري في جنوبي العراق ولهذا لا نقرأ عن المراكز الخليجية من أواخر العهد الآشوري إلا من خلال الحملات العسكرية. ومن

جانب آخر، فإن الإمبراطورية الآشورية تفتحت أمامها آفاق تجارية رحبة في الجهات الغربية، في سوريا وشواطئ البحر المتوسط والأناضول ومصر، ويبدو ان بعض المواد التجارية التى كانت تصل العراق عن طريق الخليج العربي، بدأت تصله تجارة غربية، ومنها الذهب والأحجار الكريمة والعاج والأخشاب، ولكن أسماء هذه المواد التجارية نسبة إلى أسماء مصادرها القديمة بقيت حية في الأذهان على الرغم من تغيير مناشئ استيرادها وهكذا وقع الخلط بعض الأحيان، في إشارات النصوص الأشورية إلى مواقع كل من ميلوخا ومكان.

وتعد النصوص الإقتصادية نهاية المطاف من مصادرنا المسمارية عن الخليج العربي، وهي أوثق المصادر التاريخية وأكبرها حجماً، ويمكنها لوحدها أن تسعد في دراسة أوجه النشاطات الإقتصادية بين العراق والخليج العربي.

دلمون في عقائد الشرق القديم :

لقد عاش الإنسان الشرقي عصره الأسطورى مثله مثل غيره من الأقوام السابقة في فترة التاريخ من عمر الإنسانية حيث كانت الأسطورة هي وسيلة الإنسان الأساسية للتعبير عن أنشطته المختلفة... وبدخول الشرق الأدنى القديم في العصر التاريخي – استمرت الأسطورة لفترة طويلة من الزمن تمارس تأثيرها القوي في التركيبة العقلية لشعوب هذا الشرق(1).

إذ لم يكن الدخول في العضر التاريخي يعني القضاء على الأسطورة فقد استمرت كجزء لا يتجزأ من الحياة الدينية لهذه الشعوب حيث أن ما سمي بالعصر التاريخي لم يأت بتغيير أو تعديل في طبيعة الحياة الدينية لشعوب

(1) Mossaiti, The Face of the Ancient onieut p. 328.

الشرق الأدنـي القديم وقد كانت فكرة الدخول إلـى دلمون او الفردوس حلماً وفكرة كثيراً ما نجدها واضحة في كتابات وآداب وأساطير الحضارات القديمة سنحاول في هذا المبحث أن نقتفي معاني هذه الفكرة في أساطير وحضارات العالم القديم[1].

دلمون في عقائد العراقيين القدامى

يؤكد كريمر بأن هناك من الأسباب ما يحمله على الإعتقاد بأن فكرة الفردوس الإلهي هي سومرية المنشأ والأصل، وكان موضع هذا الفردوس السومري في أرض "دلمون" وفي "دلمون" هذه نفسها، وضع فيها بعد البابليون "أرض الأحياء" موطن الخالدين منهم.

وحين نقرأ الأبيات الأولى من افتتاحية أسطورة (آنكى وننخرسالك) والتي تقول :

عندما كنتما تقتسمان الأرض العذراء (مع رفاقكم من الآلهة) – أنتما – كانت أرض دلمون أقليماً نقياً.

عندما كنتما تقتسمان الأرض النقية (مع رفاقكما من الآلهة) – أنتما – كانت أرض دلمون إقليماً نقياً.

كانت أرض دلمون نقية، كانت أرض دلمون فتية.

كانت أرض دلمون فتية، كانت أرض دلمون وضاءة.

عندما اضطجعا على الأرض وحدهما في دلمون.

---

[1] Moscati, An cientseunitic civilization, Copnicon. P31. محمد خليفة حسن تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٤٠.

وأضطجع انكى مع زوجه مكان فتي، مكان وضاء عندما اضطجعا على الأرض وحدهما في دلمون.

وأضطجع أنكي مع زوجه، مكان فتي، مكان وضاء.

لم يكن الغراب ينعق في دلمون (كما ينعق الغراب اليوم).

ولا الديك كان يصيح صياح الديك (كما يصيح الديك اليوم)

ولا الأسد يفترس،

ولا الذئب يختطف الحمل،

ولا الجحش يعرف كيف يأكل الحب،

وأرمد العين لم يكن يقول "أنا أرمد العين"

ولا الصداع يقول "أنا الصداع"

والعجوز لم تكن تقول "أنا العجوز"

ولا الشيخ يقول "أنا الشيخ"

وعلى أساس هذه المزايا التى تتميز بها دلمون، يصفها بعضهم بأنها (خيال شاعري يتوق إلى وجود أسمي، كان يتمثله السومري من نصيب الإله، وأكبر الظن أنها من محتكرات الملوك أيضاً. وتذكرنا بالأوصاف المستفيضة والمفارقة التى في متون الأهرام عن جنة الفراعنة.

وأرض الجنة أو عدن المصريين القدامى لم تكن للموتي الماديين. فاتونا بشتم لم يمت، وإنما جعل في منابع الأنهار، فقد كان السومريون والبابليون يعتقدون أن موطن الآلهة والبشر هو الأسو (Apsu) "المياه العذبة".

وينفرد الدكتور "أحمد سوسة" برأى لا يتفق مع كل الآراء التى ذكرناها فيما يخص مكان الفردوس العراقي القديم، ونسبته فهو ينفي أن تكون "دلمون" الأولى (الأقدم) سومرية، كما ينفي أن يكون مكان الفردوس الإلهي في "دلمون" وبذلك يرجع أن فكرة الفردوس الإلهي أول من ابتداعها الساميون العموريون[1] الذين استقروا على ضفاف نهر الفرات في جوار (عانه – وهيت) في الرما ري وأن أكثر العلماء الآثاريين متفقون على أن (الساميين) كانوا قد نزحوا من الجزيرة العربية إلى ضفاف الفرات في حوالى الألف الرابعة قبل الميلاد وبذلك يكونون قد سبقوا السومريين في الاستيطان بحوالى ألف عام.

ويحاول أحمد سوسة: أن يبني رأيه على أساس الربط بين مستقر الساميين على نهر الفرات وبين موقع الفردوس الإلهي عند فم النهار. فلذلك يرى أن الساميين حددوا موقع دلمون على على نهر الفرات في رأس دلتا نهر الفرات ... في المكان الذي يتفرع النهر فيه إلى أربعة فروع، وهي (فيشون، وجيحون، وحد أقل، والفرات) فيمثل الأول منخفضي الحبانية وأبي دبس، والثاني نهر الهندية الحالي، والثالث مجرى الصقلاوية القديمة، أما الرابع فهو نهر الفرات، أى المجرى القديم المعروف بنهر كوثا.

ويشير بعض الباحثين إلى (جذور سومرية – بابلية) للجنة التوراتية المفترضة، وتقع دلمون التوراتية في عدن، وتعبير جنة عدن، ربما كان مشتقاً من جنات أدوان المعروفة تماماً في طقوس الخصب السومرية القديمة والتى يدعوها جيمس فريزر بـ "جنائن أدونيس".

(١) العموريون أو الأمورين: هى الموجة العربية الجزرية الاولى التى هاجرت فى الجزيرة العربية فى الالف الثالث

إلا ان المرجح هو أن كلمة (عدن) مشتقة من لفظة عدنون Edinu الأكدية، وهي مستعارة من لفظة Edin السومرية، وتعني (سهل، أرض منبسطة) يعزز ذلك أن موقع جنة عدن، في التوراة، إلى الشرق من فلسطين، ومن دلمون هذه يجري نهر يتفرع إلى أربعة فروع هي: فيشون المحيط بأرض الذهب، وجيحون المحيط بأرض كوش، وحداقل (دجلة) الجارى شرق آشور. وجنة عدن عند السومريين تقع جنوبي العراق، ويتفق هذا مع الوصف الجغرافي للجنة العبرية.

ويحدد الدكتور " فاضل عبد الواحد " موقع جنة عدن بالإستناد إلى النصوص السومرية من عصر فجر السلالات (في حدود ٢٤٥٠ ق.م) موضحاً أن (Edin) كانت تطلق على المنطقة السهلية الواقعة جنوبي مدينة أوما (جوخة) وغربي مدينة لجش والتى يتغنون بجمالها ولطيب مناخها وعذوبة مياهها، جنة تدعى دلمون، أرضها مقدسة باركها الإله أنكي إله المياه العذبة ومنحها مياه وفيرة. وقد جاء وصف لدلمون في الكتابات المسمارية في وادى الرافدين بأنها البحر وهي أرضاً "نقية" "وضاءة" "أرضاً للأحياء" ولا تعرف المرض ولا الموت ولم يكن ينقصها سوى الماء العذب اللازم للحياة الحيوان والنبات، لذلك يأمر اله الماء السومرى الأكبر "أنكى"، "أوتو" إله الشمس بان يملأها ماءً عذباً يستنبط من الأرض. وهكذا تتحول " دلمون " إلى حديقة إلهية خضراء عامرة بالحقوق الملأى بالفاكهة وبالمروج.

وفي دلمون الإلهية هذه زرعت الآلهة "ننخرساك" الآلهة الأم العظيمة عند السومريين، ثمانية أصناف من النباتات بعد سلسلة من العمليات المعقدة

شملت ثلاثة أجيال من الأمهات اللواتي ولدن من إله ما وكانت ولادتهن بدون ادنى ألم أو معناه ولم تعلم (ننخرساك) عن أسماء النباتات وطبيعاتها وخواصها، غير أنها تكتشف أن أنكى قد سبقها إلى تقرير ذلك كله وأنه أكل النباتات، فتحقد عليه لهذه الإهانة حقداً مريعاً، وتعلن آلهة المياه. ثم تختفي من بين الآلهة.

وتبدأ صحة إنكى في الإنحدار حين تصب ثمانية من أعضائه بالمرض وتضطرب الآلهة اضطراباً شديداً لهذه اللعنة لأن معناها نفي المياه العذبة إلى ظلمات أعماق الأرض، وبالتالى موتها موتا بطيئاً عندما تفيض الآبار والأنهار في فصل الصيف لولا تدخل الثعلب الذي يأتي بننخرساك، وهي بدورها تخرج إلى الوجود ثمانية ربات شافية تقابل الأعضاء المعتلة فيعود " إنكى " إلى الحياة والصحة.

الجنة في عقائد المصريين القدامى

كانت قوة الإنسان المنظمة في الخارج وقوة الناصح الخلقي في الداخل عاملين باكرين في تشكيل الدين المصري، يقول برستد أن الشعور بالوصاية الخفية محسوساً في مصر قبل أى مكان آخر [1]... لقد أدرك المصريون القدامى أن الإله وحتى الإنسان يسيرون إلى الموت وكان هذا السير يعني السير إلى حياة أخرى وهو عرضه لمصير الإنسان وقضاء الموت الذي يجري على البشر، بما لا مفر منه، ولقد ربط المصريون بين الجنين في بطن أمه وبين البعث فالميت في قبره مثل الجنين في الرحم، حتى إذا حانت منيته خرج إلى الحياة الآخره بمثابة ميلاد جديد[2]، نعم لقد اعتقد المصريون القدامي أن الموت ضرورة لتجديد الوجود وهم كانوا يرون أن البلاء شرط مسبق للتجدد، وأن انحلال الكيان القديم شرط ضرورى لظهور الكيان الجديد[3]، لقد اعتقد الناس اعتقاداً راسخاً في حياة ما بعد الموت وسواء أكان المتوفي إلهاً أم إنساناً فهم تصور أن جزءاً حيوياً منه ظل على مقربة من الجسد، لذلك وجب حفظ الجسد حتى تتمكن تلك القوى الحيوية من العودة إليه لتنعم بالطعام والشراب والأثاث وأدوات التسلية والترفيه والتى وضعت كلها في خدمته. وقد صممت المقبرة كتصميم المنزل فالحق بها في معظم الأحوال حدائق على نحو تلك التى كانت تحيط بالمنزل لاعتقاد المصري أن هذه الأشياء يمكن أن تأخذ معه وبالرغم من كل هذا البذخ في تأثيث

(١) جيمس برستد: تطور الفكر والدين في مصر القديمة، ترجمة زكي شوس دار الكرنك – القاهرة، ص ٣٥.

(٢) كامل سعفان : كنانة الله يا فرعون – القاهرة بلا – ص ١٨٨.

(٣) إميل هورنفنج : وادي الملوك – ترجمة محمد العزب موسي – القاهرة ١٩٩٦، ص٥.

المقابر فإن الفشل أمام اختيار يوم الحساب يلغي جدوى كل النفقات التى أنفقت على الجنازة وبناء المقبرة بينما الفقير الذي يخرج بريئاً مطهر تنبسط أمامه كل إمكانيات الأبدية الوعرة، وكذلك تفشل مهما غلا ثمنها في توفير الخلاص للميت المذنب بتحقيق هذا في مثل مصري قديم يقول:

" فضيلة الرجل المستقيم خير عند الله من ثور يقدمه صانع الآثام"[1].

لقد تصور المصريون الجنه تصويراً فيه كثيراً من التفاصيل لكننا نجملها بما يلي :

إن الميت في مسيرته للوصول إلى جنة تعترضه إلى العبور إلى هذه المنطقة بعد أن يتجاوز إثني عشر بوابة وهو ينتقل من بوابة إلى أخرى في العالم الأسفل حتى يصل إلى البوابة (المملكه) او كفن العالم الآخر وهنا في نقطه الساعة الثانية من الليل يصل إله الشمس أخيرا إلى مملكة القاطنين في العالم الآخر.

ومن الملاحظ أن جبال ومياه عالم الموتى صورة طبق الأصل لوادي النيل بحقوله الخضراء الخصبة، التى تحف بها سلسلة بعد سلسلة من جبال الصحراء الحمراء[2].

ووراء حدود هذه الحقول المترفه ينعم فيها الموتي المباركون ويمتد فراغ غير مألوف ولا مأهول لا تمسه آشعة الشمس، أنه المنزل المرعب للمذنبين، والنهر الذي يجري فيه هو ليس بنهر النيل وأن (نون) أى فوضي ما

---

(١) أمرى: مصر في العصر العتيق – ترجمة محمد نوير ومحمد كمال الدين –دار النهضة – القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٩ – ص ١٠.

(٢) هوننج: وادى الملوك: ص ١٠٥ – ص ١٠٦.

قبل الخليقة وتنزل بعده الشمس في المكان المضطرب المرعب وأن نزولها بمثابة الهبوط إلى عالم ما قبل الخليقة كما جاء في كتاب الكهوف:

"إنني أدخل العالم الذي جئت فيه، إنني اضيء مكان مولدى الأول"

إن هذا العالم غريباً مجهولاً تماماً، فيه يدخل الميت منزلاً آخر، الغرب هو اسمه غير معروف لكل من على الأرض، وفي عهد "الرعامسة" نجد أن العالم الآخر (الذات) يخفي كل سر ومن يدخله لا يرحل عنه، وتستخدم كلمات المحجوب أو الغامض... والمقيمون في هذا العالم يعيشون في كهوف غامضة: وفي الإبتهال الحادي والثلاثين لإلهة الشمس من ابتهالات الامم يخاطب المصرى مصيبته (هو الذي يهبط من الغوص تتطلقه منه كلمي امنت (Imenet) في اللغة المصرية. وتصف بعض الكلمات هذا العالم (فيه الموتي يرقدون في الظلام إلى الأبد) وترينا بعض النصوص ترصيفاً جغرافياً للجنة المفترضة فيقول: إن دلمون تتجاوز كل الأبعاد والأرضيه المجردة، فمجرد طول المنطقة العازلة المؤدية إلى العالم الآخر الحقيقي أكبر من طول وادى النيل إلى ما تحت الشلال الثاني وطول المنطقة التى تستقر فيها الساعة الثانية وتبلغ ثلاثة أضعاف تلك المساحة أى (٣٠٩) ميلاً مصرياً[١]... واعتقد المصريون أن الشمس تقطع ملايين الأميال في رحلتها اليومية عبر السماوات والعالم الآخر.

وهكذا نعلم أنه حتى الزمن له أبعاد في العالم الآخر، ونجد أن أعماق هذا العالم هي في كل الإتجاهات على شواطئ المياه الأزليه، وفي وسط السماوات أو

(١) هورننج : وادى الملوك – ص ١٠٨.

في أعماق الأرض نفسها وفي كتاب الكهوف ينادي الإله قاطني العالم الآخر قائلاً:

أرشدني إلى طريق الغرب

كي أوقظ الموتى هناك

كي تستقر أرواحهم وتتنفس

كي أنير لهم الظلمات[1].

إن أبدانكم سوف تقوم من أجلكم

إن أعضاءكم سوف تلتم من أجلكم

إن أعضاءكم سوف تتجمع من أجلكم

إن جسدكم سوف تعود من أجلكم

إن أنوفكم سوف تتنفس النسيم العزب

سوف تخلعون عنكم أكفان المومياء

سيدخل ضوء الشمس عيونكم المقدسة

كي ترون بها الضياء

تحرروا من ضجركم

كي تتمتعون بالحقول الجنه

وعندما يستيقظ الميت على نداء الشمس يستطيع أن يتحرك حراً غير معاق في جنات المباركين الطيبة حيث يجد نفسه، إن كل ما يلزمه من نعيم يجده هنا بل إن الإله يضاعف له ما يحتاجه، وهو يبحر في مركبه وبعد ذلك فإن الجسد

---

(١) هورنونج: وادى الملوك – ص ١١٨.

المستنير (خا) والمتوفي (با) يحتاجان إلى الغذاء العادي وفي أقدم المقابر تبين لنا الرسوم أن أمام المتوفي أكوام كبيرة من القرابين الموضوعه فوق مائدة وهي حاوية على ما لذ وطاب من الأطعمة[1] ويؤكد ما ذهبنا إليه نصوص أدبية عديدة. فهذا نص مصري قديم يقول:

"لا تثق بطول السنين... (لأن الحياة) في مملكة الموت وأن الأحمق من لا يأبه بذلك أما من يأتي إلى قضاء الموتي مبرأ من كل ذنب فسيكون مثل إله ويسير حراً طليقاً كسادة الأبدية[2]. الإنسان فيه سيعيش ممداً في حقل الفيضان (السعيد) أى في عالم الحقائق السماوية الغنية حيث الأمن والإستقرار وفي هذه الحقول الفردوسية يستطيع المرء أن يحيا بهدوء ... ويظهر من نصوص الأهرامات أن فردوس الآخرة الذي بشرت به الديانة المصرية لم يكن إلا لنفر قليل من الناس[3] وليس للكثير منهم كما هو واضح في رسائل توت في الحكمة والفلسفة[4]، والتى يقول فيها:

أكثر الناس يجهلون الحقيقة

ولهذا فإنهم يخافون الموت

متصورين أنه أعظم جميع المصائب

الموت هو فساد يفني الجسد

....

---

(١) هورنونج: وادى الملوك – ص ١٨٢.

(٢) أدولف رومان: مصر القديمة، ص ٢٥٥، ص ٢٥٦.

(٣) آ – ج سبنر : الموتى وعالمهم في مصر – ترجمة الهيئة المصرية للكتاب ص ٢٨ – ص ٤٥.

(٤) رسائل توت في الحكمة والفلسفة جمع عطية عامر – القاهرة ١٩٩٩ ص ١٤٠، ص ١٤١.

لا تذهب جميع الأرواح إلى مكان واحد

ولا إلي أماكن مختلفة عن طريق الصدقة

وإنما ترسل كل واحدة – في الحقيقة إلى مكان يوافق طبيعتها

إن الجنه المفترضة لم تكن كما لاحظنا إلا لنفر قليل من الناس وأن هذه الجنه المفترضة التى يعمل فيها الفرد... هي أكثر وفرة من خيرات الأرض إذ يصل ارتفاع القمح فيها إلى خمسة أذرع وتبلغ السنابل ذراعين، وهذه الصورة تبين أن دلمون تماثل الأرض إلا أن كل ما فيها هو أفضل وأحسن)[1].

(١) موسوعة الديانات السماوية: دار الفكر بيروت ١٩٩٠، ص ١٥٨ – ص ١٥٩.

الجنه في المعتقدات الهندوسية

على حدود الهند من الشمال عند سلسلة جبال الهملايا. ومن الغرب عند جبال السن كوشي وسليمان حيث تقع أفغانستان وإيران، وتمتد إلى الجنوب من شبه جزيرة العرب في غربها وخليج البنغال في شرقها وسيلان في طرفها الجنوبي ويتجه الإقليم الشمالي منها إلى الشرق حتى جبال اسام.

في الهند أنهار عظيمة، بعضها ينبع من الشمال، حيث الهيملايا، ولها أنهار عديدة مثل نهر السند، أو نهر الأندوس وفي مجراه تمتد روافد لاسيما الذي يجري في البنجاب وهي أخصب بلاد الهند، وأكثرها عمراناً وبعض الروافد ينبع من كشمير ويعتبر نهر السند من أطول أنهار الدنيا، إذ يبلغ طول مجراه ٢٩٠٠ كم .

وفيها كذلك نهرالكنج وهو النهر المقدس لدى الهندوس الذين اعتادوا أن يغتسلوا في مياهه ليتطهروا من ذنوبهم، ويتدفق من جبال الهيملايا من ارتفاع أربعةآلاف متر ويعد الصعود إلى هذا المكان من أعظم القربانات عند الهندوسومنها نهر (جنما) وهو ينبع من الهيملايا أيضا وكذلك نهر (براهما بثرا) الذي يأتي من الشمال الشرقي، حيث جبال الهيملايا وأسام والذي يجري في البنغال فى هذا المكان الذى وصفناه أنفاً.

نشأت حضارة وادى السند في الألف الثالث قبل الميلاد على وجه التقريب وبحلول الألف الثاني قبل الميلاد احتلت مساحة تقدر الهند.

تكشف مدينة (موهنجودار) عن تراث قديم يرجع إلى حوالى عام (٢٥٠٠ ق.م.) وأن الحضارة فيها كشفت عن مدينتين كبيرتين في وادى الأندوس في

(باكستان) يرجع تاريخ إنشاء حوالى ٢٥٠٠ ق.م. هما (هاربا) ،(موهنجودارو) ومحيط كل منهما حوالى خمسة كيلو مترات.

وتذكر "موسوعة الأديان " عن الهندوسية أنها لا تؤمن بحياة أخرى فليس في عقيدتها جنة ونار وثواب وعقاب، وإنما تربط معتقدها في مصير النفس بموضوع التناسخ، فالنفس تنتقل من بدن إلى آخر وأعمال الإنسان هي التى تحدد مصير النفس، فإذا سلك سبيل الخير واتبع الفضائل انعتقت نفسه من دورة الحياة في الأبدال واتحدت بالروح الكلية وإلا تبقي في هذه الدورة متنقلة من بدن إلى آخر"، فإننا نجد في ما نذكره عن "نظام الكرما" من عقائد الهندوسية ما يفيد أن جميع أعمال البشر الاختيارية – خيراً كانت أم شراً – لابد أن تجازى بالثواب أو العقاب طبقاً لنا لعقائدها في العدل الصارم.

فنظام الكون (إلهى) قائم على العدل المحض، وإن العدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل، وإن في الطبيعة نوعاً من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصاء، وبعد إحصائها ينال كل شخص جزاءه عند عمله، ولكن يكون الجزاء في الحياة" ... وقراءتنا في نصوص المعتقدات الهندوسية تجعلنا ندرك إيمانهم بعالم الآخرة – وبأى شكل وصفوه – "المنزلق، التائب " وهو راغب في الإستقامة يبلغ "منطقة العدل" حيث يبقى سنين لا حصر لها، وحيث أنه ولد يبدأ حياة أخرى في بيت نقي بين الوادعين السعداء (جنة الخلد)، وعلى هذا يجاهد من جديد بأمل لبلوغ الكمال، (في عدم الاكتراث بالتوبة).

ولقد وجدنا أن "هناك دنيا تختلف عن دنيا الحس فهي أعلى وأعمق وأبعد غوراً لا يبلغها البصر ولا تتغير" (الباب الثامن – التدين بالنسك).

"الذين لا يجدون حياة دنيوية ولم يدخروا إلا أنفسهم في شبابهم مدخرا يموتون كمالك الحزين على شاطئ بحيرة الأسماك فيه" (الدامايادا – ١٥٥).

"أبواب الجحيم التى يجتازها الناس إلى الهلاك ثلاثة: باب الشهوة باب الغضب، وباب البخل".

وللهندوسية كما يذكر إله المكوت تسميته (ديفا) Diva ونجد فيه من المقرر من المعتقدات الهندوسية التعاليم الثالية :

" ثمرة الأعمال تضاعف ثلاث مرات في الحياة القادمة سواء أكانت حسنة أم سيئة، أو مزيجة من كليهما، ولا ثمرة بلا عمل أبداً "مقاربة من مبدأ مضاعفة الحسنات كما في المعتقد الإسلامي مع خلاف في العد".

(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)، ومخالفة لها في عدم مساواة الحسنة بالسيئة بالجزاء أو مزيجهما: (من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) (المؤمن : ٤)

وبالنسبة للبوذية: ذكر أن لها إلهاً للموت مشابه لما في الهندوسية وبما يفيد بمحاكمة الذات أمام الإله "ياما" بعد الموت.

"يخطئ المرء في العقل وفي الكلمة وفي التفكير، ثم حالما يتفتت الجسد بعد الموت ويقوم بطريقة مفزعة، مقدمة إياه للعقاب وتذكر كتب الهندوسية .

إن الإله " ياما " يؤنبه قائلاً: أذكر أيها الإنسان ألم تر ظاهراً بين الناس رسولنا الأول، فالثاني، فالثالث، لا لا يا سيدي اذكر أيها الإنسان، ألم يحدث هذا لك تحذيراً وعبرة فيقول : سأكون مثلهم أيضا، سأفعل الطيبات في العمل

والقول والتفكير، لم أفعل يا سيدي، كنت مهملا ، أذكر أيها الإنسان أنه بناء على إهمالك يفعلون بك، وا أسفاه، فهذه أفعال لم تقم بها أم ولا أب ولا أخت ولا صديق ولا زميل أو قريب سواك، نعم أتيت بهذه الأفعال، فأنت الآن تجني نتائج ما كان".

وجاء في "(لأنجترانيكايا – الرابعة).

" لا مكان لأحد يستطيع إخفاء جريرته ...، بالنفس فيك أيها الإنسان، تعرف ما هو " صحيح ، وما هو" زائف".

وبإزاء ذلك فإن في الأقوال المنسوبة لبوذا ما يشير إلى غير ذلك النفس الروحي الذي مر ذكره في مسأله الجزاء فيما يبدو أن ذلك كان تطورا في الفكر البوذي مماثل لما تم في الفكر الهندوسي حيث أن ناموس الطبيعة كما نقل عن " بوذا " هو الذي يسيطر على كل شيء، وهو يقضي بأن لا يدوم العذاب والجحيم إلى ما لا نهاية، فلا تدوم دلمون ولا النعيم ومهما طالب عهدها فأنهما زائلان، وأن كل من لا يتمسك بالأخوة العامة والمحبة الشاملة مع سائر الخلق فإن ناموس الطبيعة يعاقب أشد العقاب، وأن ناموس الطبيعة ليس بخاضع لذات قدسي يتصرف فيه كما يشاء، بل ذلك الناموس مستقل بذاته، نافذ بنفسه، لا يتأثر بمؤثر بشري أو إلهي أبدا.

وإنما دعى بـ (جنة النفوس) ليتجارى مع ما ذهب إليه بعض الباحثين من الأستنتاج بأن: كل ما جاء عن الجنة والنار ما هو إلا تقريب المعاني المستحيلة بقدر الإمكان وأن دلمون صورة ومقام تشتمل على جميع الدرجات من المتع

الحسية وهولاً إلي المتع الروحية الخالصة، فيما يكون العذاب لزوم وما يلزم وحلول الصفة بموصوفها، وانتظام الأرواح في سلم درجاتها الحق...

وأن العذاب يأتي من إحساس من هم في أسافل الدرجات بالغيرة والهوان والخسران الأبدي...ويحرق هذا الإحساس الصدور كما تحرقها النار وأكثر، وسوف يكون هذا النكال والتنكيل، ينكل الواحد منا بنفسه بالدرجة التى وضع نفسه فيها والتى أعذر إليها بأعماله في الدنيا".

ويتفق ذلك ما يدعوه د.محمد عبد الله دراز بـ (سلطان الضمير) الذي يقول عنه أنه: لا ينتهي بإنتهاء هذه الحياة، بل أن له دوراً هاماً عند الحساب في دار الجزاء حيث يتقدم بين يدي فصل القضاء ويصدر حكمة على صاحبه قبل أن يصدر عليه الحكم الإلهى.

الجنة عند المجوس (أو الزرادشتية)

المجوس (Maqi) كلمة يونانية الأصل لأصل (Maqos) أطلقها اليونانيون على كهنة زرادشت عندما دخلو فارس بقيادة الإسكندر الكبير وذلك لأنهم برعوا في السحر (Maqic) ولهذا اشتقت الكلمة الأوروبية التى تعني السحر في حين يذهب الدكتور " طه باقر " إلى غير ذلك فيقول أن المجوس مجهولو الأصل ولا يعلم ديانتهم والتى لم تكن فارسية في أصلها إلا بأشياء قليلة ويضيف الفرس كانوا وثنيين مشركين مثل بقية القبائل الهند وأوربية الأخرى، يعيدون قوى الطبيعة وجسموها وشخصوها على هيئة آلهة، فعبدوا الشمس بهيئة إله وسموه (مترا) والقمر باسم (اماه) والأرض باسم (ازام) والريح باسم (واهبوا) ثم عرفوا بعد ذلك بعبادتهم للإله (اهورمزدا) .

وتقدم الزرادشتية تصوراً لعملية الجزاء يتقارب من حيث المضمون مع المنطق الديني السماوي، ويختلف عنه في إفتراق عالمي الجزاء للخير والشر فيما يبدو، وكان معترك الصراع ما بين روح الخير وروح الشر، كما هو واضح في فلسفة زرادشت من، أن الإنسان خلق حر الإرادة يختار بين الخير والشر، وأن الأفكار التى يفكر بها، وكل الكلمات التى يقولها، والأفعال التى يأتيها كل يوم من أيام حياته مكتوبة في كتاب الحياة، فالأفكار والكلمات والأفعال الصالحة مكتوبة في جانب، والأفكار والكلمات والأفعال الخبيثة مكتوبة في الجانب الآخر، وعندما يموت الإنسان تذهب روحه إلى الحفيظ على كتاب الحياة.

فإذا كانت أفكاره وكلماته وأفعاله الأخيرة أعظم من أفكاره وكلماته وأعماله الخبيثة ذهبت إلى دلمون، وإلا ذهبت إلى عذاب الجحيم...(النار الخالدة)

وفي يوم الحساب ينتصر الإله الواحد على الشر عندئذ يبعث الموتي، ويقع المذنب على الأرض فتشعل وتذوب جميع المعادن فتنشر على الأرض كأنها سيل ملتهب وعلى كل الناس الأحياء والأموات المبعوثين أن يعبروا مجرى (السيل) الذي يبدو للأرواح الخيرة وكأنه لبن دافئ فيضطرهم الأمر إلى المرور به ويمضون منه إلى الجنه، أما الأرواح الشريرة فتظل تحترق إلى الأبد خالدة في المعدن الملتهب وعندئذ يطرد الإله الخير روح الشر وكل من يتبعه من الأرواح الخبيثة إلى وسط الأرض ويدعها فيها إلى الأبد ... وفي ذلك اليوم يبدأ العالم السعيد الخير الذي لا شر فيه ويدوم سرمديا".

أما موقع الجنه المفترض في الديانة الزرادشتية فهي تقع في أقصي شرق جبال البرزهرابيرازيتي (Hanaberasiti) ويرتفع هذا الجبل متجاوزاً النجوم إلى عالم النور اللانهائي ويصل إلى جنة اهورامزدا في منزل النهم وهي أم الجبال وقمته في القمة الأبدية حيث لا ليل ولا برد ولا مرض، وتذكر بعض كتب الزرادشيتيه المتأخرين أن الروح بعد أن تعبر صراط الحساب تحتل

- **منازل ثلاث (منزل الأشقياء) في جهنم، دار الجحيم.**
- **ومنزل السعداء في جنة فردوس النعيم.**
- **ومنزله وسطي بين هؤلاء وهؤلاء.**

فمن ثقلت موازينه ورجعت حسناته سيئاته احتلت روحه المنزلة الثانية، ومن خفت موازينه، ورجحت سيئاته على حسناته ذهبت روحه إلى المنزلة الأولى، ومن تساوت حسناته وسيئاته احتلت روحه المنزلة الثالثة[1].

مما تقدم يمكن القول :

أن المجوس أو الزرادشتين قد عرضوا الجنة وسموها (بالوجود الحسن) أو (دار الحمد) وكان الظن أن موضوعها فوق جبل (اهاز) لاعتقادهم أن أول ما خلق الله هو الجبال. وقد اشترطوا لدخول هذه الجنة مجموعة من الشروط هي: أن الأفكار الطيبة هي خطوته الحقيقية نحو الخلود والشرط الثاني لدخوله دلمون المفترضة هو الكلمة الطيبة والثالثة بالأعمال الطيبة، وهذه الأعمال أو الخطوات هي التى توصله إلى النور اللانهائي الذي هو النعيم كله والذي يسكن فيه إلى الأبد مع الآلهة الروحانيين في النعيم اللانهائي وهذه دلمون لا ليل فيها ولا مرض.

(١) للمزيد يراجع: أمين عبد الحميد – الثقة في الأدب الفارسي، حامد عبد القادر زرادشت الحكم.

دراسة وتأويل
في الزمان والمكان المأول للجنة " دلمون "
في المواقع المفترضة لجنة الفردوس

١- الخليج العربي (البحرين).

٢- العراق (منطقة القرنة).

٣- اليمن (عدن).

٤- الهند (موهنجرادوا).

٥- الحبشة (كوشا).

هل البحرين في الخليج هي الموقع المقرض لدعون

عرف الخليج العربي في المصادر التاريخية القديمة (السومرية والأكدية) ببضع تسميات منها "البحر الكبير" "تامتوم رابيتوم"(١). وبحر شروق الشمس (تامتوم شا صيت شمش)(٢) والنهر المر (المالح) نار مارارات(٣) وبحر الكلدانيين تامتوم (شا مات كالدي) (٤) . ونهر بيت يقين المر (نار مارارات ثابيت ياكين) (٥) .

وقد اطلق سترابون (٥٨ ق . م – ٢٣ ق .م) تسمية "سانيوس أرابيكوس" أي (الخليج العربي) وجراء احتلال الفرس لمناطق عدة من غرب آسيا لقرون كثيرة بما فيها الاراضي المطلة علي الخليج العربي خلال فترات الاحتلال الأخمينية (٩٣٩ – ٣٣٢ ق . م) الإحتلال الفرثية (١٤٧ – ٢٢٤ ق . م) والاحتلال الساساني (٢٢٤ – ٦٣٥ ميلادية) باسم (سانيوس بيرسيكيوس) ٦.

لقد " وضع كريمر " موقع دلمون بادئ الأمر في مكان جنوب غرب إيران (٧).

ولكنه عاد في دراسة لاحقة وجعلها أرض (السند) أو بعض أجـزائها ، ونـاقش " كريمـر " رأيـة بـأن دلمون هـي الأرض التـي سـكنها بطـل الطوفـان السومري (زيو سودرا) الخالد وحيث تجلب جميع بلدان العالم المعرفة لدي

---

(١) هنرى رياض: اليمن وحضارات الشرق القديم مجلة كلية الأداب (جامعة صنعاء، ١٩٧٩، ص ٣٥٦.

(2) D.D. Lucken bill, The ANNals of sennochenib, As, chicop, London, 1924, P. 38.

(3) L.W. king, chronicles of Eanly Bobylonain kings wol. 11, London 1959 p. (3) 1924. 25.

(٤) جواد عل ي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلاكم ، دار العالم لايت بدوي ١٩٧٧ج: ص ١٤. As. P ٥٣

As . P ٢٣

(٥) سامي سعيد الأحمد : تاريخ الخليج العربي منشورات مركز الدراسات الخليج العربي – جامعة البصرة ١٩٨٥ – ص ٩.

(٦) سامي سعيد الأحمد : الخليج العربي ، ص٩ .

(7) S. N. Kreamer , Dilmun, The LANA of Living , Bulletin of American School of Pniental Reserarch (BASOR) Vol 96 December 1944 .

السومريين آنذاك بضائعهم وفتوحاتهم . ونجد السير (ليناردو ولي) في تنقيباته في مدينة أرو بجنوب العراق يتحدث عن عاج وأدوات كاملة الصنع من العاج تم جلبها من (دلمون) كي يجعل من دلمون مصدراً للعاج . وقد استند " كريمر" في فرضيته هذه علي ان دلمون الهندية بلا دليل تاريخي وأن كثرة الابار ومحلات الاستحمام العامة والخاصة في مواقع وادي السند واهتمام سكانها كما يظهر من الاهتمام بالنظافة المنتظمة ليس دليلاً كافياً علي ان مكانها هناك .

وأن هذا الاهتمام بالماء برأي "كريمر" يجعلها محببة إلى الرب (أنكي) (أيا) ودلمون فعلاً محببة الي الاله (أنكي) الذي جعلها طاهرة وباركها . وقالت عنه الأساطير السومرية المتوفرة طاهرة ونظيفة ومشوقة ودارت أحداث أساطير سومرية فيها [1] .

ونظراً لغياب التدوين في ماضي الخليج بشكل كتابي يكشف العلاقات الوثيقة والواسعة بين العراق والخليج وذلك كونه لفترات طويلة كان جزءاً من الدولة العراقية القديمة لذلك تعد المصادر المسمارية من بين أقرب المصادر الاساسية لدراسة تاريخ الخليج العربي ، وتغطي المصادر المسمارية فترة طويلة من أحداث الخليج العربي تبدأ من منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد وتنتهي مع آخر عهود الحكم حكم الدولة الكلدانية في تاريخ العراق الندية والمتمثل بسقوط بابل عاصمة الدولة البابلية الحديثة في عام ٥٣٧ ق . م . في عهد الملك بابونشيد .

<u>الأرض والمناخ في شبه الجزيرة العربية والخليج في الصور القديمة :</u>

---

(1) S. N Kramer : The Ludus Civilization and Dilmun The Sumeriai Parsdise Lawd Expedition Vol . 6 No .3 , 1964 pp . 45 . 46 .

في شبه الجزيرة العربية جبال وصحاري ، وتحيط بها البحار من جهاتها الثلاث . وتمتد في حافتها الجنوبية بمحاذاة البحر العربي . وتسمي السلسة الغربية بجبال السراة والتي تقع في الحجاز وعسير واليمين . كما تنتشر في أقسام متفرقة من شبه الجزيرة مناطق صخرية في الأنحاء الشمالية من نجد . وجبال السراة تحصر بينها وبين البحر الأحمر سهول ساحلية تضيق وتتلاشي هذه السهول في مناطق قرب الجبال من البحر .

وتكثر في سواحل البحر الأحمر الصخور والشعب المرجانية والتي ساهمت في قلة عدد المواني علي هذه السواحل والسراة جبال وعرة التي يتراوح ارتفاعها ما بين (١٢٠٠ – ٥٠٠٠ قدم) وتقل في سفوحها النباتات ، إلا أنه تتوفر علي أطرافها الشرقية الابار وعيون المياه . وتمر جبال السراه في بلاد اليميني حتي تنتهي عند خليج عدن في الجنوب فتسبب تساقط نسبة عالية من الأمطار ساعدت علي قيام الزراعة ونمو النبات الطبيعي .

ويلاحظ ان نسبة كبيرة من مياه الأمطار تنفذ من خلالها . وتتجمع في باطن الأرض ثم تسيل في الطبقات الصخرية حتي تجد لها منفذاً طبيعياً فتخرج مكونة إحدي الواحات المنتشرة في أنحاء شبه الجزيرة ، وأبرز هذه الواحات ما يقع منها علي امتداد الحافات الشرقية لسلسة جبال السراة في منطقة الحجاز مثل يثرب (المدينة) والعلا ومدائن صالح وتيماء . وفي الأنحاء الشرقية تعد الهفوف من أوسع الواحات وأغزرها ماء ، وكذلك الأحساء والقطيف . كما يشمل هذا الخزان الجوفي المائي جزر البحرين ، والحافات الشمالية لسلاسل جبال عمان حيث واحات العين والبريمي . ثم هناك واحات موسمية تزهو بخضرتها

وبأشجار النخيل التي تنمو فيها مثل يبرني الكائنة غلي الجنوب الغربي من الأحساء .

إضافة الي ذلك هناك في أنحاء شبه الجزيرة مجاري الوديان الواسعة مثل السرحان، والبطن، والرحمة، والدواس، والخور، وحضرموت، والعمدي، وبسبب ارتفاع مستوي المياة الجوفية في قيعان هذه الوديات فقد صار بالإمكان الحصول علي الماء من جوفها بحفر الابار بعمق قليل لقد كشفت عمليات المسح الاثارية في مناطق هذه الوديان ، وعند حافتها عن مواطن للإستيطان البشري في عصور تاريخية قديمة مختلفة .

وتحيط بشبه جزيرة العرب البحار من جهات ثلاث . فالبحر الأحمر في غربها والبحر العربي في جنوبها والخليج العربي في شرقها . وكأن لهذه البحار ولا زال دور هام في حياة السكان للاقتصاد العديد من الظواهر الجيومورفولوجية Geo–morphology أن مناطق الوديان في شبه الجزيرة كانت تزخر في الحياة في إحدي حقب العصور الحجرية الاخيرة التي غزرت فيها الامطار . ومن هذه الظواهر كثرة تعرجات الأنهار وفروعها ووجود مساطب الأنهار المعروفة تضاريسياً عند مجاري المياة مصباتها . لقد تساقطت أمطال غزيرة في أنحاء شبه جزيرة العرب قبل ست وثلاثون ألف سنة ، وحتي عشر ألف سنة قبل الان ، نتج عنها ما يشاهد من اثار للبحيرات في منطقة الرابع الخالي . وهناك أمارات لفترة مطيرة أخري تعرضت لها شبه الجزيرة بين السنوات (١٠٠٠٠ إلي ٤٠٠٠) قبل الان تركت آثارها في عدد من المدرجات في المنطقة الوسطي من شبه الجزيرة والتي يعود تاريخها ايل ما قبل نحو

٨٠٠٠ سنة ، وأخري في المنطقة الخلفية من وادي " الدواس " رجع عمرها الي ما قبل نحو ٦٥٠٠ سنة . كما أن هناك دلائل تشير إلي تعرض الربع الخالي لأمطار غريزة ما بين ٩٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ سنة قبل الان .

وعند السواحل الشرقية لشبه جزيرة العرب يقع منخفض الخليج العربي الذي يبلغ طول " ٨٥٠ كم " من شواطئ العراق شمالاً حتي مضيق هرمز في الجنوب ، حيث يتصل عنده بخليج عمان ثم بالبحر العربي والمحيط الهندي . ويتراوح عرض الخليج العربي ما بين ٥٠ ـ ٤٠٠ كم ، ويتراوح عرضه في ١٠٠ م ويزداد هذا العمق كلما اتجهنا جنوباً وشرقاً نحو سواحل إيران . غير أن حالة مياه الخليج العربي لم تكن علي ما نجدها عليه الان ، وخاصة في المراحل الاخيرة من العصور الجليدية والتي مرت علي الكرة الارضية في المليون سنة الاخيرة . إذ تشير الدراسات الجيولوجية والتي اجريت في قاع الخليج في مطلع السبعينات من القرن العشرين أن مياهه قد انخفضت إلي اكثر من مائة لتر في حدود ١٥٠٠٠ قبل الميلاد ، اي أن بقاعة صارت أرضاً يابسة انذاك ، ويظن ان نهري دجلة والفرات كانا يجريان في هذه الارض منفصلين فيصبان عند خليج عمان . غير أنه وبعد انقضاء اخر ورابع موجه جليدية ، بسبب ارتفاع نسبي بدرجة حرارة العالم انذاك مناسيب المياة في البحار والمحيطات بالارتفاع بعد ذوبان كتل هائلة من الجليد فنال حوض الخليج العربي منها وقد ذهبت الدراسة التي قامت بها سفينة الابحاث الجيولوجية الألمانية التي درست قاع الخليج بأن ثلاث شطان تظهر في ثلاث مراحل وهذه الشطان تقع عند الاعماق

٣٠م ، ٥٠م ، ٦٢ م علي التوالي بحسب تدرج امتلأ قاع الخليج تبعاً للكميات المستلمة من المياه .

ففي عام ٧٧٠٠ قبل الميلاد كانت مياه الخليج العربي أقل منها اليوم بثلاثين متراً وفي حدود عام ٤٩٠٠ قبل الميلاد ، صارت مياه الخليج تقل بمستواها عما هي الان باربعة امتار ، بينما وصلت هذه المياه كما هي عليه في الوقت الحاضر في عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد .

أما في عمان فتكثر الوديان التي كانت في العصور المطيرة ، التي تعقب إحدي الفترات الجليدية الأربع ن وتشير الدراسات لوجود انهاراً تمتلئ بالمياه إلا انها جفت عند حلول مرحلة الجفاف التي تعيش نهايتها اليوم غير أن في قيعانها بقايا من المياه تكفي لنمو الأعشاب . هذا وتقع شبه جزيرة " مسندم " قرب الحافة الغربية لرؤوس الجبال وتليها مجموعة " جزر سلامة " وتمتد علي طول الساحل الغربي للخليج العربي ستة أمارات عربية تعقب من الجنوب سلطنة عمان، دولة الإمارات العربية المتحدة وشبه جزيرة قطر والإحساء وقطيف وجزر البحرين والكويت. وتتألف دولة الإمارات العربية المتحدث من سبع غمارات، تطل ستة منها علي الخليج : أبو ظبي ودبي والشارقة وعمام وأم القوين، وراس الخيمة . والإمارة السابعه هي القجيرة والتي تقع عند خليج عمان. وفي رأس الخيمة جبال ووديان وكثبان رملية . وفي الساحل بين دبي وأبو ظبي خلجان ومستنقعات وواحات أبرزها العين والبريمي . وهناك العديد من الجزر تكثر فيها الاشجار مثل قرنين ودلما وزركو ودينية والحمرا . ويبلغ طول شبه جزيرة قطر ١٥٠كم وعرضها نحو ٨٠ كم ومن مهن اهلها التقليدية صيد

الأسماك واستخراج اللؤلؤ وممارسة الزراعة الديمية بداية قطر تتألف أراضي شبه جزيرة قطر في الغالب من احجاب ورمال ومناطق ملحية وفي بعض مناطقها تنمو الأشجار . وعلي طول الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر صخور جيرية وأخري كلسية كما أن هناك تلالاً علي هذا الساحل بدءاً عند مدينة دخان وحتي خليج سلوي .

وسواحل قطر الشمالية والشرقية تحتلها تكوينات صخرية واطئة . وتؤلف الصحاري الرحملية الاجزاء الداخلية من شبه الجزيرة وفي بعض اماكنها مغاور وبرك ماء . وسواحل شبه جزيرة قطر كثيرة التعرجات . وافادت نتائج التنقيبات في واحة اباروك أن الأحوال المناخية في قطر كانت ملائمة لحياة الاستيطان ومنذ حوالي عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد .

وتتالف البحرين من ثلاث وثلاثين جزيرة تقع وسط الخليج العربى بمحاذاة الساحل الغربى وتبعد عنه مساحة ٢٥ كم. وتؤلف هذه المسافة طرقا بحريا نشيطا للحركة التجارية والصلات الحضارية عبر العصور القديمة المختلفة وابرز الجزر هى البحرين والمحرق وسترى وام نعسان والنبى صالح واغلب صخور جزيرة البحرين جيرية والمياة التى تحيطها بها ضحلة وتكثر فى الجزيرة العيون العذبة وابراز الينابيع ام المهور قرب المحرق والكوكب عند خورقشت وفى جزيرة المنامة توجد ابار خالد وام غويفة .

اما الاحساء فتتكون من سهول مرتفعة فى الغرب نظم العديد من التلال . وفى المناطق الساحلية مياة عذبة وفيرة وبالاخص فى الجنوب حيث تكثر الابار والعيون ولذا كانت الهفوف من ابرز مناطق الواحات

اما القطيف فتقع على خليج يشمل جزيرة تاروت وتكثر فى القطيف عيون الماء والى الشمال من القطيف تقع اطلال مدينة الجبيل المهجورة.

وعند النهاية الشمالية الغربية للخليج العربى تقع الكويت ومعظم اراضيها منبسطة وسواحلها رملية وفيها بعض الهضاب والقليل من التلال الزراعة ممكنة حيث تتوفر المياة ليس بالكويت انهارا جارية سوى مجرى المقطع الذى يصب فى الخليج العربى عند صخور المعظة جنوب شرقى الكويت وفى الغرب من اراضى الكويت يقع وادى الشق القليل العمق وعند حدود الكويت مع العراق يقع وادى البطن والى شرقة الكثير من الوديان الجافة والساحل الغربى للخليج العربى كثير التعاريج والخلجان ويضم راس الخليج جزرا عديدة مثل بوبيان وورية وام المرادم .

ويظهر من نتائج التنقيبات الاثرية الاخيرة على ساحل الخليج العربى الغربى ان مناخ المنطقة كان رطبا قبل عشرة الالف سنة من بعض التقلبات المناخية يدل عليها شكل الارض والتضاريس المريبطة بالمياة الجارية.

حضارة اقطار الخليج العربى
فى عصورها القديمة

يعد حوض الخليج العربى احد اهم مناطق غربى اسيا وقد كان ولا يزال ممرا حيويا للتجارة القديمة وقد لعب هذا الممر المائى دورا حضاريا بارزا فى العصور القديمة اذ كان يصل بين مواطن حضارة وادى السند البارزة وجنوب شرقى الجزيرة العربية ووادى الرافدين وبلاد الشام وحوض البحر الابيض المتوسط ومنذ الالف الرابع قبل الميلاد . جاء ذكر الخليج العربى فى التاريخ اليونانى فى كتب المؤرخين الذين دونوا لحياة الاسكندر المقدونى امثال المؤرخ (اريان) الذى كان قد وضع مؤلفه باخبار الاسكندر عام ١٧٠ ميلادية معتمدا فى ذلك علىكتب من تقدمه وخلاصة ما ذكر (اريان) هذا : ان الاسكندر بدأ بارسال البعوث قبل وفاته فى عام ٣٢٣ قبل الميلاد ، الى الخليج العربى لاستكشاف سواحله وجزره

فقد كانت خطة الاسكندر اخضاع المناطق الساحلية وثغورها المطلة على الخليج العربى لاعتقاده بان ثروتها ومواردها لاتقل عن غنى وثروات الفينيقين كما كان ينوى تجهيز اسطول من السفن وارساله حول شواطى شبه جزيرة العرب لاخضاع العرب سكنه شبة الجزيرة الذين لم يرسلوا الوفود اليه معلنين طاعتهم واحترامهم كما فعل غيرهم . ويذكر (اريان) ايضا ان الاسكندر طمع فى بلاد العرب لما سمع عن غناهل بالمر والبخور والقرفة وان موانيها العديدة صالحة تماما لرسو اسطوله ووجود الاراضى الملائمة لاقامة مدن جديدة عندها ، كما انه قد علم بان فى البحر (الخليج العربى) جزيرة ينبى احداهما تبعد عن

راس الخليج نحو ٢٢ كم ، وهى الصغرى وفيها ومعبدا الالهة (ارتميس) ومراع للاغنام والغزلان المقدسة وكلها ملك لهذه الالهة .

فامر اسكندر (كما يقول اربان) بتسمية هذه بتسمية هذه الجزيرة باسم (ايكاروس) على اسم احدى جزر بحر ايجة اليونانية اما الجزيرة الكبرى والتى تبعد عن مسيرة المركب ليوم وليلة ان كانت الرياح موافيه ، فقد اسماها تيلوس (tylos) وقد كانت ارضها تصلح للزراعة ونمو الاشجار بما فيها النخيل والفاكهة . ومن الارجح ان تكون هذه (اى تيلوس) هى البحرين والجزيرة الاخرى الصغرى (ايكاروس) فى اعالى الخليج فيلكا .

ثم يذكر (اريان)ان الاسكندر المقدونى توجه الى تلك الجهات وامر باقامة بعض القلاع والمدن الساحلية واسكن فيها عددا من جنوده الراغبين فى الاقامة بها او الذين صاروا عاجزين عن العمل فى جيوشه .

ضعفت اهمية الخليج العربى فى العهد الرومانى بعد تحول طرق التجارة الى البحر الاحمر لتردى العلاقات السياسية بين الرومان والغرب الذى كانوا يسيطرون على اجزاء من وادى الرافدين الذين كانوا فى صراع دائم مع الامبراطوية الرومانية والذى نتج عنه الرقابة المشددة على الحدود بين الامبراطورتين (الفارسية والرومانية). وادى هذا الى توقف حركة التجارة بين الجهتين لفترة طويلة تدنت خلالها مكانه الخليج وعدد من مدن القوافل الواقعية على الطريق التجارى بين الخليج العربى المار غربى وادى الرافدين فبادية الشام والبحر المتوسط إلا أنة بتعويض صرح امبراطوريتى فارس والروم بايدى طلائع الجيوش العربية الاسلامية فى النصف الثانى من القرن السابع

الميلادى واستتاب الامن فى ربوع الشرق الادنى عادت للخليج العربى مكانته واهميتة بجودة طرق التجارة الدولية لالية وبنشاط متزايد وصار ممرا مائيا حيويا يربط الشرق واسيا بالغرب واروبا .

ان السواحل الشرقية للخليج العربى ضحلة تنحسر عنها المياة سنويا نظرا لترسات طمى الانهار التى تصب فية وابرزها شط العرب ونهر الكارون بينما تتميز سواحله الغربية بكثرة الخلجان والاهوار والجزر العديدة كما تتكون هذه السواحل من تلال رملية وسهول صحراوية تتخللها عدد من الواحات الخصبة ذات التربة الطينية الرملية الملائمة لنمو اشجار النخيل والفاكهة وبعض الخضروات . وفى بعض جزره وسواحله هذه ينابيع ذات مياه عذبة صالحة للشرب ،وبالاخص فى جزر البحرين وتتدفق الابار الارتوازية والينا بيع فى عدد من الامارات وعند سواحل عمان وقطر، وهنا لابد ان نشير ان اعماق الخليج العربى ومنذ العصور القديمة قد اشتهرت كونها من ابرز مصائد اللولؤ الطبيعى الذى ظل عماد ثروة اقطاره الخليج وتجارتها حتى تدفق البترول وبكميات كبيرة فى البر والبحر فعظمت اهمية الخليج العربى وسلطت الاضواء على اقطار وثروتها النفطية منذ ذلك الحين.

ان استمر اعمال الاستكشاف والتنقيب غن الاثار فى اقطار وجزر الخليج العربى وسواحله وعدد من مناطقة الغنية بمواقعها الاثراية اظهر العديد من الحقائق عن زمن استيطان الانسان فى هذه البقعة من العالم القديم وعن علاقاتها الحضارية والتجارية مع حضارة وادي الرافدين إلي الشمال ووادي نهر السندالي الشرق حيث موطن صغارة خراباً وموهنجدارو كما ان المسح الاثارى

كشف فى قطر عن استطيان اكيد لانسان العصر الحجرى القديم والحديث . فقد عثر فى هذا البلد الخليجى على كميات كبيرة من الالات والادوات من حجر الصوان من بيتها فؤوس ومقاشط ورؤوس سهام ، كما عين خمون مستوطنا اثريا موزعة بقاياها على هذين العصرين (اى الحجرى القديم والحديث) . وفى جزيرة ام النار فى امارة ابى ظبى تم التعرف على عدد من المقابر الاثرية ترجع فى زمنها الى الالف الثالث قبل الميلاد ويعود زمنها الى حدود ١٨٠٠ قبل الميلاد اى الى العصر البابلى القديم ، ان بعثة تجارية من العراق ذهبت الى دلمون لشراء النحاس ووثيقة عراقية اخرى من نفس الفترة تتهم تاجرا دلمونيا بفساد الذمة .

ومن العصر الاشورى الحديث جاءنا نص للملك سرجون الثانى الاشورى فى سنة ٧١٠ قبل الميلاد يذكر فيه انه تسلم هدايا من ملك (دلمون) الارض التى تقع كالسمكة على بعد ٦٠ ساعة فى وسط البحر الذى تشرق منة الشمس .

وان اخر نصف اكتشف لحد الان فية ذكر (دلمون) يعود زمنه الى عام ٥٤٤ قبل الميلاد . وفى اماكن عديدة من هذه النصوص والوثائق العراقية القديمة يرد اسمان اخران من دلمون ، هما مكان وملوخا ، وصار من المقبول الان بين جمهرة الدارسين ان هذين الاسمين الجغرافيين يشيران الى عمان ومواطن حوض وادى نهر السند الحضارية على التوالى . وورودت هذه الاسماء الثلاثة فى النصوص يكون عادة حسب الترتيب التالى : دلمون – مكان – ملوخا ..... هذا يؤكد مواقعها الجغرافية المتتابعة بالنسبة لوادى الرافدين .

ومن الجدير بالاشارة الية فى هذا الشان ان عمان والجبل الاخضر كانتا مصدار رئسيا من مصادر تجارة النحاس مع وادى الافدين ، مباشرة إما عن طريق دلمون (البحرين) كما ان فى حوض وادى السند فى شمال غربى القارة الهندية قد قامت حضارة تعاصر حضارة السومريين والاكديين فى مواقع شهيرة مثل خرابا وموهنجدارو وكانتمعظم واردات مدن العراق الجنوبية من الأخشاب تأتي من ملوخا موطن حضارة وادي نهر السند عبد دلمون التي كانت تعد المحطة التجارية الرئسية فى الخليج العربى فى العصور القديمة .

والى ذلك يشير العالم "رولنصون" والذى كان اول من ربط بين البحرين (دلمون) مشيرا الى احتمال ان تكون جزر البحرين فى الخليج العربى هى موقع دلمون القديمة وقد استند لنصون فى رأيه هذا الى كتابة مسمارية كان قد عثر عليها الكابتن ديوراند فى البحرين فى سنة ١٨٧٩ وهذه الكتابة تتالف من ثلاثة اسطر بالخط المسراري وباللغة السومرية وجاءت على حجرة بشكل قدم انسان يعود تاريخها الى العصر البابلى القديم (١٩٥٠ – ١٥٣٠ ق.م) كالاتى:

قصر ريموم .

خدم الاله أنزاك .

من (قبيلة) امكاروم .

والاله انزاك قد ورد ذكره فى قائمة الالهة فى وادى الرافدين على انه كبير الهة دلمون (٢) كمان عرف فى جميع عهود وادى الرافدين الخضارية بانه حامى جزيرة (او جزر) دلمون والمناطق الساحلية . وقد جاء وصف لدمون فى الكتابات السماوية من وادى الرافدين بانها جزر فيها كثير من المياة العذبة ، تبعد

عن وادى الرافديين مسافة يومين بطريق البحر اذا صاحبتها ريح طيبة . وهناك ترتيلة سومرية يرجع عهدها الى حوالى الفى سنة قبل الميلاد تصف دلمون من انها ارض مقدسة باركها الاله إنكى اله المياة العاذبة ومنحها الماء بطلب من الهة دلمون نن - سيكال واذ يستجيب إنكى الى طلبها وببركة اوتو اله الشمس يصل الماء العذب الى دلمون وتختتم الترتيلة بهذه الكلمات :

مينتها تشرب الماء الوفير

دلمون تشرب ماء الرخاء

ابارها ذات الماء المرء انظر

تراها وقد صارت مياها عذبة

حقولها انتجت الغلة والقمح

دلمون صارت دارا للشاطى

ومراسى الارض

وفى قصة الطوفان السومرية اشارت الى ان الناجى الوحيد من تلك الكارثة الرهيبة قد كوفئ بمنحة الخلود واسكن فى دلمون كما ان البطل جلجاش قد سعى فى دلمون حيث يقيم جده اوتوناشتم بحثا عن الخلود .

هذا وان اكتشاف الرقم الحجرية التى تحمل الاسطر الثلاثة بالحط السماوي وباللغة السومرية فى بقايا اثرية مؤكدة وواضحة فى قلعة البحرين يدعم الراى الذى يقول من أن موقع دلمون القديمة هو جزر البحرين او انها كانت فى الاقل حاضرة لذلك القطر البحرى الذى جاء ذكره فى المصادر السمارية على انه مملكة دلمون وان حدوده الشمالية تبدأ عند جزيرة " فليكا " الكائنة عند النهاية

الجنوبية لوادى الرافدين المطل على الخليج العربى وان الاله "انزاك" كان الالـه الحامى لتلك المملكة البحرية والتى كانت واقعة ضمن النفوذ السياسى والتجـارى لوادى الرافدين فى فترات طويلة من التاريخ القديم للمنظمة .

وجزيرة فيلكل (التى دعاها الاسكندر المقدونى – ابكاردس) التـى يبعد عن النهاية الجنوبية لدلتا وادى الرافدين نحو ٢٢ كم .

كانت أول محطـة بحريـة تتوقـف عندها السفن القادمـة من اور وغيرهـا من أمهات مدن المسراف القديم في طريقها إلي بقية مـواني مملكـة دلمـون ومكـان (عمان) وحوض نـهر السند وموانئ البحر الأحمر ، طولها أثنـا عشر كيلو متراً وعرضها ستة كيلة مترات وشكلها أقرب إلي المثلث .

وتوصـف هذه الجزيـرة كـون تربتهـا خـصبة ومياهها عذبـة وفيهـا مـوانيء تصلح لحماية المراكب عند هبوب الرياح والعواصف .

وبوقوعهـا علـي الطريـق البحـري التجـاري بـين وادي الرافـدين ومـوانيء الخليج العربي الأخرى فقد قامت فيها حضارة مزدهرة وحياة اقتصادية مترفـة اعتماداً علي الرسوم البحرية والتبادل التجاري . وفي اواسط الستينات من القرن العشرين قامت بعثة تنقيب دانمركية وبدعوة من حكومـة الكويت للعمل فـي عدد من تلول ومواقع فيلكا الأثرية ، التي كان سكنة الجزيـرة ينبشون لأخذ مـا تبطنـه من حارة وطابوق لتشييد منازلهم .

وتضم الجزيـرة عدداً من المواقـع الاثريـة وكانـت قد ظهرت من جراء هذا العبث حجرة عليها كتابة يونانية تفيد بأن : المواطن الأثيني سوتيلس والجنود قد

قدموا هذا النصب إلي زوس سوتر (Zeus) المخلص وإلي بوزيدون (Poseiden).

وسرعان ما تبين لبعثة التنقيب العاملة في فيلكا بان الجزيرة تضم عدداً من التلول الاثرية يرجع زمن بعضها الي مطلع العصر البرونزي في بداية الألف الثالث قبل الميلاد ، إضافة الي مخلفات بنائية ولقي أثرية متعددة بعود زمنها الي عصر الاسكندر المقدوني .

وفي منطقة منخفضة قرب الساحل تقع بين مجموعة تلال سعد وسعيد ظهرت بقايا دار واسعة تحوي علي اثنتي عشرة غرفة تتوسطها ساحة المتبقي من جدرانها مشيد بطابوق مربع الشكل بمقياس ٣٠ × ٣٠ سم ، ومن النوع المعروف في مباني مدينة بابل في العراق .

وقد وجدت في بعض غرف هذه الدار قوالب من الطابوق لنصب التماثيل ، احداها يمثل وجه الاسكنر ، وتماثيل يونانية أخري ، وكلها تشير الي التأثير الهلنسي الواضح في الجزيرة في العهد السلوقي (عهد خلفاء الاسكندر المقدوني في وادي الرافدين وبلاد الشام والخليج العربي) .

ومن بين ألرز اللقي الأثرية المكتشبة في جزيرة فيلكا والتي لها أهمية كبيرة في الدراسة المقارنة لحضارات الشرق القديم ، مجموعة كبيرة من الأختام المستديرة والمدببة في أحد وجهيها والتي أطلق عليها بعد ذلك تسمية الأختام الدلمونية .

فقد وجد منها خلال عمل البعثة الدانمركية في أواسط الستينات نحو من ٤٠٠ ختم ، وكان قد عثر علي هذا النوع من الأختام قبل ذلك في عدد من مدن بلاد

سومر البارزة ، وفي مواقع حوض وادي نهر السند ، كما اكتشف عدد منها في مواقع جزر البحرين .

ولكثرة ما اكتشف من هذه الاختام في أرجاء الخليج العربي وفي بقايا مدن وجزر ملكة دلمون بالذات ، فقد أطلق الدارسون عليها اسم الأحكام الدلمونية ، باعتبار ان منشأها ومناطق استخدامها كان في أنحاء هذه المملكة البحرية بالذات.

وبسبب الأعداد الكبيرةالتي وجدت في جزيرة فيلكا من هذه الأختام ، وبروز الطراز الفني المحلي فيها ، غضافة غلي التطور الظاهر في طريقة حفر صورها ورسومها بحيث تتحول الصور غلي خطوط مبسطة وقوية يؤكد بأن فيلكا كانت هي الموطن الذي نشات فيه الأختام النادرة .

علماً بأنه قد عثر في جزيرة فيلكا علي أنواع أخري من الأختام بينها المستديرة والأسطوانية والمربعة ، وموطن الأختام الاخيرة (المربعة) كما هو معروف في مواطن الحضارة في وادي نهر السند إلا ان بعضها قد وجد في عدد من مدن بلاد سومر إضافة إلي تواجده في جزيرة فيلكا كما عرفت سابقاً ، وهذا دليل واضح علي الاتصال والعلاقات التي كانت سائدة ، خلال الألف الثالث قبل الميلاذ بين مواطني الحضارة في هذه البقاع الجغرافية الثلاث وادي الرافدين ، والخليج العربي ، وحوض نهر السند شمال غربي القارة الهندية .

أما عن المواضيع المنفذة علي الأختام الدلمونية (المستديرة المدببة) فبالرغم من رتابتها واتزانها وطابعها الديني العقائدي ، غير أنها قد حفرت بطريقة زخرفية أبدع صانعها في تنفيذها ، ابتعد فيها مضمونها عن التقيد باتباع

أسلوب ثابت في التنفيذ كما هو الحال في غالبية أختام وادي الرافدين الأسطوانية بل صار يبتكر أسلوباً جديداً في كل ختم ينفذه .

وعمله هذا دفع بعض الدراسين إلي الاعتقاد بأن كل ختم من هذه الأختام الدلمونية ربما يمثل موضوعاً قائماً بحد ذاته بعيد الشبه عن مواضيع الأختام الأخري .

وقد تكون هذه الأختام قد استعلمت من قبل حامليها كتعويذة عقائدية ، او قد تكون استعلمت لأغراض ختم المعاملات والبضائع كما هو الحال في استعمالات أختام وادي الرافدين الاسطوانية التي تظهر عليها كني أو أسماء حامليها إضافة الي رموز وصور الالهة المختلفة التي كانوا يقدسونها ، بجانب مشاهد لحيوانات مفترسة أو أليفة وأخرى اسطورية مع رسوم هندسية ومشاهد من الحياة اليومية لأنسان ذاك الزمان والتي توثق حالات الشرب او للصيد او للزراعة .

تختلف الأختام الدلمونية في حجومها وأشكالها بعضها صغير لا يتجاوز قطرها ١,٥ سم ، وبعضها الاخر كبير قطرها حوالي ٣ سم . لقد استخدمت لعمل هذه الأختام مواداً وأحجاراً مختلفة منها ما عمل من حجارة هشة سهلة القطع مثل حجر الكلس والألباستر والحجر الصابوني والحجر الجيري ، ومنها ما صنع من حجارة صلبة قوية صعبة القطع مثل حجر لدايورايت والهيمتايت (حجر الدم) وحجر الستيتايت .

كما استخدمت ادوات مختلفة لإنتاج هذه الأختام منها : الأزميل ، المزرف ، المقشط ، القرص الحاد ، الأنبوب ذو الطرف الحاد والمرف ذو الطرف المحدب.

وأحياناً كان يسود استخدام الة معينة في صنع هذه الأختام دون سواها مثل استخدام المزرف ذي الرأس المحدب حيث نجد النقوش المحفورة بواسطته تأخذ شكل انصاف كرات كما هو الحال في الأختام التي هي من مطلع العصر البرونزي (حدود ٣٠٠٠ قبل الميلاد) ، والذي يعاصره فترة " جمدة نصر " في وادي الرافدين ، والتي عرفت هي الأخري بمثل هذا النوع من الحفر علي الاختام المستكشفة فيها .

وقد استخدم أحياناً اساليب القشط المسطح او القشط المائل في أختام الخليج العربي الدلمونية . ومن الجدير بالذكر انه لا تعرف لحد الان طبيعة الصور والرسوم والرموز علي هذه الأختام . إذ من المحتمل ، كما يعتقد البعض ان طريقة تنفيذها قد يعكس نموذجاً من كتابة صور رمزية لا تعرف ماهيتها لحد الان . وقد يتطلب التوصل الي فلك رموزها الكثيرة من الجهد والاجتهاد من قبل دارس اللغات القديمة وعلماءها ، علماً بأن صور البطل جلجامش قد وجدت محفورة علي عدد من أختام الخليج الدلمونية المستديرة ذات الوجهين أيضاً .

تقع جزر البحرين في منتصف المسافة بين رأس الخليج العربي في الشمال ، عند مصب شط العرب ، ونهايته الجنوبية عند مضيق هرمز .

وجزيرة البحرين الرئيسية صغيرة نسبياً يقع طرفها العريض في الشمال، حيث تقوم معظم المدافن الصغيرة . وتضيق الجزيرة في طرفها الجنوبي الذي تغطية الرمال .

وفي منتصف الساحل الشمالي حيث العاصمة (المنامة) تقوم بقايا قلعة البحرين ممثلة بخندق كبير طوله ٤٥٠ متراً وعرضه ٢٠٠ متر وعلي قمته

تنهض بقايا القلعة التي شيدها البرتغاليون في حدود ١٥٢٢ م والتي تعرف بالقلعة البرتغالية، او قلعة البحرين ، يحيط بها خندق بعمق عشرة أمتار .

كشفت تنقيبات البعثة الدانمركية خلال الخمسينات من القرن العشرين ، عن بقايا لخمس طبقات ، او بقايا مدن متعابة ، أقدمها ، أي أسفلها يعود إلي مطلع الألف الثالث قبل الميلاد (أي بداية العصر البرونزي) ، وأحدثها اي أعلاها ، يرجع زمانه إلـي الفترة الهلنستية (القرن الثالث قبل الميلاد) .

لقد شوهدت آثار حريق وتدمير بين بقايا الطبقة السفلي (الأولي) يظن أنه بفعل الحصار الأكدي لهذه المدينة في حدوده " ٢٣٠٠ قبل الميلاد " وأن معظم بقايا المدينة (الطبقة) السفلي يقوم بمحاذاة البحر حيث تظهر دور السكن الصغيرة المتواضعة وقد غطتها البقايا البنائية الفخكة لمدينة الطبقة التالية (الثانية) ، ومن بقايا مدينة الثالنية أجزاء من سور ضخم وقتحة لبوابة المدينة والتي يعود زمن تأسيس مدينة الطبقة الثانية في قلعة البحرين إلي حدود عام " ٢٣٠٠قبل الميلاد " ، اي في أعقاب خراب مدينة الطبقة السفلي بأيدي الأكديين ، وقد استمرت مدينة الطبقة الثانية زمناً طويلاً يربو علي ٥٠٠ عام ، ومن المحتمل أن سكانها كانوا اصحاب آلاف المقابر المنتشرة في وسط الجزيرة ، وكذلك المسؤولون عن تشييد معبد (باربار) بأدواره الثلاثة ، وقد سمي المعبد هذا نسبة لأسم القرية المجاورة التي تدعي باريار .

ويشبه المعبد في تخطيطه البنائي عمارة وتخطيطاً المعابد السومرية في بلاد الرافدين التي يعود تاريخها إلي أواخر عصر فجر السلالات ، وقد احيط بجدار ضخم بيضاوي الشكل ويقوم علي مسطبة بيضوية الشكل أيضاً .

وبهذا فهو شديد الشبه بنظيره المعبد السومري في " تل خفاجي " في منطقة ديالي الواقعة وسط العراق . وعثر بين بقايا الطبقة الثانية هذه ايضاً علي عدد من الأختام والأوزان جاءت علي ما يظهر من مواقع حضارة وادي اسند في شمال غربي القارة الهندية ، شبيهة بتلك التي عثر عليها في عدد من المدن السومرية في جنوبي العراق .

وهذه إشارة واضحة علي سعة التبادل التجارية لسكنة البحرين في هذه الفترة مع الشرق والشمال ، ومن المعتقد ان مدينة الطبقة الثانية في قلعة البحرين كانت إحدي أبرز مدن مملكة دلمون التي ورد ذكرها في نصوص الرافدين المسمارية في هذه الفترة بالذات .

وهذا ويرجع زمن مدينة الطبقة الثالثة في قلعة البحرين إلي حدود ١٧٠٠ – ١٢٠٠ قبل الميلاد ، حيث ان الكثير من فخاريات هذه الطبقة شبيهة بمثيلاتها من العصر الكشي في وادي الرافدين . وقد كشفت عن أجزاء واسعة من بقايا الطبقة الثالثة البنائية غلي الجنوب من القلعة البرتغالية مباشره .

اما بقايا مدينة الطبقة الرابعة فإنها تعاصر في زمنها عصر الإمبراطورية الاشورية الحديثة في وادي الرافدين (٩١١ – ٦١٢ قبل الميلاد) ، فقد أشار عدد من الملوك الاشوريين في هذه الفترة الي علاقاتهم مع مملكة دلمون .

ومن االملاحظ ان بقايا مدينة الطبقة الخامسة آثارياً ضئيلة بخلاف عدد من دور السكني . وقد كان تأسيس هذه المدينة في عصر الاسكندر المقدوني وخلفاءه من السلوقيين .

وقد تم الكشف عن مجاميع من فخاريات ودمي الطين اليونانية تشير بوضوع الي علاقات تجارية مع السلوقيين في وادي الرافدين وبلاد الشام (إبان سيطرتهم علي هذه البلاد) .

وقد وجد في البحرين ما يقرب من مائة ألف قبر تحتل مساحة قدرها عشرون ميلاً من الطرق الشمالي من اكبر جزر البحرين ، مكونة بذلك أضخم مقبرة عرفها العالم القديم .

وتغطي أرض المقبرة الواسعة المنطقة الممتدة بين قرية عالي وطريق الهملة مارة بالساتين المحيطة بقرية دستان وكرز كان والمالكية .

وقد جرت أول محاولة للتنقيب في تلول المقابر هذه الأعوام ١٩٠٦ – ١٩٠٨ فقد قام خلال هذه الفترة المعتمد البريطاني في البحرين الميجور " بريدوكس " بالكشف عن تلال من تلال المقابر الصغيرة .

كما قام بعده ، في عام ١٩٢٤ ، الأثاري المعروف " أرتست مكاي " بالجغرافي تل آخر من تلول المقابر ، ثم اعقبه " بيتر كورنوول " بأعمال مماثلة نشر نتائجها في عامي ١٩٤٠ – ١٩٤٣ . تلته البعثة الدانمركية ، خلال الخمسينات ، حيث قامت بفحص أكثر من خمسين تلاً من هذه المقابر في عدد من مواسمها التي أنجزتها في البحرين .

يرجع زمن مقابر البحرين في الغالب غلي مطلع العصر البرونزي في بدايه الألف الثالثة قبل الميلاد ، وقد أبانت الحفريات التي اجريت في عدد كبير منها بأن معظمها قد نبش وعبث به من قبل لصوص الاثار خلال حقب مختلفة ، وأن مجاميع كبيرة من محتوياتها قد سرق وتسرب إلي الخارج ليستقر في كثير من المتاحف العالمية .

ومدافن البحرين هذه علي نوعين : القبر او المدفن المفرد (أي قبر بغرفة واحدة) Single – Chamber Tomb ، والمدافن المزدوج (أي قبر ذي غرفتين) - Chamber Tomb Double والنوع الأول أي المدفن المفرد بعد النموذج الشائع لقبور العصر البرونزي .

يتألف هذا المدفن من غرفة دفن واحدة اتجاهها من الشرق إلي الغرب ، مدخلها يقع في الطريق الغربي والذي بجدراين بارزين بعض الشيئ عن الضلع الكائنة فيه .

تغطي غرفة الدفن عادة قطع حجرية كبيرة مكونة بذلك سقف المدفن وجدران المدفن تشيد بعدد من قطع الحجر ترصف بجانب بعضها بدون ملاط . وأن أرضية المدفن تكون عادة حجرية أيضاً إلا انها تغضي بطبقة من الرمل عند الشروع بدفن المتوفي .

والمتوفى عادة ما يوضع في القبر علي جنبه الأيمن وركبتاه مثنيتان وقدماه باتجاه مدخل القبر ، واليدان مشبكتان علي الصدر بوضع يجعلهما متجهين الي الوجه .

أما عن أبرز أثاث الدفن والتي وجدت في قبور هذا النوع فتتكون من جرار فخارية كمثرية الشكل في الغالب وعنق طويل تزين أجسامها حزوز دائرية غائرة . والجرار هذه عادة معمولة بدولاب الفخاري ، من طينة حمراء وأحجامها مختلفة ، يتراوح ارتفاع بعضها من ٦ – ١٠ أنجات .

وبعض الجرار الصغيرة الحجم تكون كروية الشكل ، تغطي أجسامها قشرة حمراء ، توضع عادة مع المتوفى في هذا القبر طعاماً لرحلته غلي العالم الاخر مؤلف من لحوم حيوانات اليفة كالغزال ، والخراف ، وأحياناً الجمال ، تكون مطبوخة عادة . وهو تقليد اعتادت عليه حضارة الشرق القديم (المصرية والعراقية) .

وقد اكتشفت أيضاً في عدد من المدافن هياكل عظمية لكلاب وضعت عند قدمي موتي أصحابها ، وفي بعضها الاخر أكوام من التمر . كما عثر في قسم منها علي كميات من قشور بيض النعام وقد صبغت باللون الأحمر الفاتح وعلي الارجح ان هذه الأكواب كانت تستخدم او تعوض عن اكواب الشرب للموتي .

وقد وجد ان بعض مدافن الرجال كانت تزود عادة بأسلحة المتوفي من سيوف ورؤوس حراب وخناجر ، وكانت عادة أما تغمد في جدران المدفن او تطرح علي الأرض بجانب المتوفي

أما النوع الثاني من المدافن ، أي المدفن المزدوج ، فغنها تكتشف عادة في التلال الكبيرة والمرتفعة ، وخاصة في القسم الشمالي الغربي من البحرين علي مقبرة من قري " الجنينة " و"القرية " و " سار " يتألف المدفن المزدوج عادة من غرفتين ، أحدهما فوق الأخري

يبلغ قطر هذا النوع من المدافن في الغالب ٢٠ متراً وارتفاعه ٤,٦ المتر، ويكون عادة محاط بدائرة من الحجارة الضخمة. تفرش أرضية غرفة المدفن السفلي بالحجارة والتربة العذراء ، وفي جدارها الأيمن (بالنسبة للمدخل) فتحتان ، تخلو منهما جدران الغرفة العالية، تغطي أرضية غرفة المدفن العليا بقطع من الحصي وتربة رملية نقية .

إن هذه الطريقة في بناء القبر وإعداده للموتي من ابناءهم تشير بالطبع إلي رغبة القوم بأسجاء موتاهم علي أرض نقية وتربة عذراء تبعاً لمعتقداتهم آنذاك بالخلق والحياة والعودة بعد الوفاة الي التربة النقية التي خلقوا منها وقد تعرضت المدافن المزدوجة اكثر من غيرها الي النبش والسن حتي أن المنقبين لم يجدوا فيها أي مقتنيات (جنائزية) وفي بعضها وجدت بقايا جثث الموتي وهياكلهم العظمية وقد بعثرت في أرجاء غرفة الدفن نتيجة لهذا العبث من قبل اللصوص .

مدافن (عالي) العملاقة ginnt- Tomulatali

وهذه المدافن تحيط بقرية " عالي " وهي من أكبر واضخم مدافن البحرين تبلغ الضخمة فيها طول اشجار النخيل في المنطقة وقد يبلغ ارتفاع احداها أكثر من ٢٥ متراً ، بينما يزيد ارتفاع تسعة منها علي ٢٠ متراً ، ويبلغ ارتفاع خمسة أخري أكثر من ١٥ متر ، وهذه قياسات وضعها المنقب أرنست مكاي في حينه .

يتألف المدفن العملاق من غرفتين إحداهما فوق الاخري ، وتشكل الحجرة منهما مستطيلاً باتجاه شرق – غرب ، وفي الغالب تحوي زاويتا الغرفة الشرقيتان علي حنايا، كما توجد مثال هذه الحنايا في الزاويتين الغربيتين لغرفة الدفن أحياناً .

ومدافن "عالي" العملاقة مشيدة عادة بالحجارة وجدرانها الداخلية مغطاة بالملاط ، وسقوفها من حجارة ضخمة من الكلس عادة . ومدخل المدفن تكون فتحته في اسفل الجدار الغربي، تغلف بإحكام بعد الانتهاء من مراسيم الدفن بواسطة الأحجار والرمال، منعاً من فتح القبر والعبث بمحتوياته .

إلا ان معظم هذه القبور العملاقة وجدت منهوبة عند التنقيب فيها ، وقد عبث حتي بجثث وبقايا الموتي بحيث بات يصعب علي المنقبين التعرف علي طرق الدفن ووضعيه الموتي في القبور عند دفنهم . إلا أن العثور علي قليل من هدايا الدفن في الغرف العليا للقبور كأواني الفخار ولقى من العاج وبعض بقايا هياكل الحيوانات ، بينما كانت البقايا العظمية المبعثرة للموتي في الغرف السفلي وقد لاحظت فرق التنقيب ان جثث الموتي كانت تدفن في غرف المقابر السفلي ، بينما هدايا الدفن وحاجات المتوفي توضع في الغرف العليا منها .

كان أول من بدأ بالتحري في قبور عالي العملاقة من المنقبين الكابتن "ديوراند"، مساعد المقيم البريطاني في البحرين عام ١٨٧٩ م ، وقد أنجز في حينه مسح وتنقيب واحد مئها لحساب حكومة الهند آنذاك ، ومع أن المدفن الذي حفر فيه " ديوراند " كان أضخم المدافن وأعلاها إلا أنه وجده خالياً تماماً .

وقد أعقب الكابتن ديوراند في البحث في قبور البحرين العملاقة هذه المنقب " بينيت " وزوجته في عام ١٨٨٩ م ففتح مدفنين ، وجد في إحدهما بقايا بشرية وبعض اللقي الأثرية ، إذ عثر في الغرفة العليا من هذا المدفن علي تمثال صغير من العاج ، وساق ثور من العاج أيضاً ، مع صناديق صغيرة من العاج ، كما

عثر في غرفة المدفن السفلى بصحبة البقايا البشرية علي بعض بقايا من ملابس مترية

وفي سنة ١٩٠٣ قام البلجيكي " جوانين " بمحاولة فتح مدفن آخر من المدافن العملاقة إلا أنه وجده خالياً من أي بقايا . هذا وأن أبرز اعمال التنقيب في هذه المدافن تمت من قبل " الميجر بريدوكس " عام ١٩٠٦ ، والذي فتح تسعة من هذه المدافن ورسم مخططاتها موضحاً طريقة تشييدها وهندستها ، إلا انه لم يعثر فيها علي بقايا أو لقي هامة ما عدا ساق لثور من العاج يعتبر في واحد منها، آخر علي (خاتم) من الذهب .

وبالرغم من ذلك فإن الدراسة الوافية التي وضعها " بريدوكس " عن مقابر "عالي العملاقة " بقيت مرجعاً مفيداً للدارسين لما تحوية من ملاحظات ميدانية وخرائط ومخططات مدعومة بالأرقام والقياسات لهذه المقابر .

أعقب " بريدوكس " في العمل في مقابر عالي أيضاً الاثاري أرنست مكاي ، في السنوات ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ فقد نقب في عدد واسع منها ، بعضها كان من المدافن المزدوجة ، وقد اكتشف أعداداً من اللقي الاثرية بينها صناديق مهشمة من العاج، وتمثال فاقد الرأس من العاج أيضاً ، ورؤوس حراب من البرونز، ومجاميع من الأواني الفخارية ، وأعداد كبيرة من بيض النعام .

وقامت بعد ذلك خلال الخمسينيات والستينيات، بعثة دانمركية بالدخول إلي أحد المدافن العملاقة، حيث وجدت داخلة نفقين كان اللصوص قد حفروهما المنفذ إلي باطن المدفن وقد عثر في أحد النفقين علي أواني فخارية كان اللصوص قد

ألقوا بها في طريق خروجهم من القبر ولم تتمكن هذه البعثة من الوصول الي باطن المدفن بسبب أنهيار سقفه اثناء عمليات التنقيب .

ثم قامت البعثة الدانمركية بعد ذلك بالدخول الي مجموعة كبيرة من مدافن " عالي " والتي بلغ عددها ٤٢ مدفناً ومع أنهم وجدوها قد نبشت قبلهم من قبل لصوص الاثار إلا أنهم استطاعوا العثور علي مجاميع مختلفة وكبيرة من اللقي الاثرية بينها اواني من حجر مرمر شمعي ، وهياكل عظمية لكلاب ، وأقداح من بيض النعام ، ورؤوس صواب من البرونز ، ومجاميع من الاواني الفخارية شبيهة لما وجدا منها في معبد باربار ، وحلي ذهبية حلزونية الشكل ، وأختام معمولة من محار بحري .

نتيجة للدراسات المقارنة التي أجراها الباحثون علي لقي وموجودات مدافن عالي العملاقة تبين انها ترجع بتاريخها الي النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، وقرب قرية الحجر في البحرين كشفت تنقيبات دائرة الاثار البحرينية في مطلع السبعينات، عن عدد من المقابر الجماعية تعقب في أزمانها مقابر " عالي " ويضم القبر الواحد منها قبور الحجر هذه عدد من غرف الدفن تتصل ببعضها بممرات ومداخل وبسلالم من الحجر تسهل الدخول والخروج منها عند الحاجة .

ومن الملاحظ ان عدداً كبيراً من قبور الحجر قد أعيد الدفن فيه لمرات عديدة وفي عصور متعاقبة . وجدت دائرة الاثار البحرينية العدد من اللقي الاثرية في مدافن الحجرة هذه هي من الأهمية بمكان بسبب مشابهتها لمثيلاتها في حضارة

وادي الرافدين من فترة العصر البابلي القديم في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، كالأختام الأسطوانية ، والأواني الفخارية .

ومنها اواني حجرية ، من حجر الستيتايت ، مشابهة لما يعاصرها من الفترة الأشورية الحديثة في مطلع الألف الاول قبل الميلاد ، ومن ما يشبه مثيلاتها من العصر البابلي الحديث في واحدي الرافدين وجدت بعض مقابر الحجر مجاميع من الأواني الفخارية ، وأختام اسطوانية وسيف من الحديد .

وقبور اخرى من مدافن الحجر ضمت زجاجية جملية من العصر السلوقي في مطلع المائة الثالثة قبل الميلاد ، كما وجد في بعضها الاخر فخاريات وأختام مستديرة دلمونية .

وفي أواخر الخمسينات أظهرت التنقيبات في واحة" البريمي " وفي جزيرة صغيرة قرب الساحل العماني مجموعة من المدافن ذات الحجوم الكبيرة، شيدت بجدران دائرية عالية من حجارة ضخمة نحتت لتلائم الشكل الدائري .

وباطن المدفن مقسم إلي اربع حجرات بجدارين متعامدين يتصلان من الأعلي بسقف المدفن المعقود ، ومدخل المدفن صغير جداً نسبة الي حجمه . يحوي المدفن الواحد من مدافن عمان هذه اكثر من خمسين هيكلاً عظيماً ، دفنت بغير نظام معين ، تنتشر بين بقايا الموتي الاف الخرز ، واعداد كبيرة من الأواني الفخارية الملونة والمعمولة بعناية .

ومع ان فخاريات مدافن عمان هذه كثيرة الشبه بفخاريات حضارة دلمون في البحرين ، إلا ان لها ملامح بارزة من فخاريات حضارة (كولي) التي سبقت حضارة وادي نهر السند في الزمن ، من مطلع الألف الثالث قبل الميلاد .

وهذا الامر يشير بدون شك إلي الاتصال الحضاري والاقتصادي بين مواطن الحضارة الاولي في اسفل الخليج العربي وبين معاصريها في حوض وادي نهر السند في الطرف الشمالي الغربي من القارة الهندية بداية الالف الثالث قبل الميلاد ، أيام ازدهار حضارة السومريين إلي الشمال في وادي الرافدين وحضارة " دلمون " علي السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية .

حيث كان السومريون يطلقون ، كما رأينا في موضع سابق من هذا الفصل ، أسماء " دلمون ومكان وملوخا " علي اماكن الجغرافية التي تلي بلادهم من الجنوب والشرق ، أي علي الضفاف الغربية للخليج العربي وحوض نهر السند والتي كانوا علي صلات تجارية وحضارية وثيقة معهم .

في إمارة أبو ظبي، في دولة الإمارات العربية المتحدة ، وفي موقع هيلي وجزيرة ام النار بالذات كشف عن عدد من القبور الجماعية المشيدة بالحجارة المهندمة . وقد يضم القبر الواحد حجر دفن او اكثر ، وأن شكل المدفن عادة دائري يتراوح فقط بين ١٢ ــ ١.٥ متر ، وارتفاع حجرة الدفن قد تزيد عن المتر الواحد أحياناً .

أن التنقيب في قبور " هيلي " و " أم النار " اظهر الكثير من المجاميع الفخارية والقلائد من خرز منوع وأسلحة من البرونز يرجع زمنها الي ، اسط الألف الثالث قبل الميلاد.

اقتصاديات الخليج العربي في العصور القديمة

من بين النتائج المهمة للنشاط الاثاري والبحث والتنقيب في مواطن الحضارة في ارجاء الخليج العربي التعرف علي تفاصيل الحياة اليومية لسكانه القدماء ومقومات هذه الحياة ونشاطاتهم الاقتصادية وصلاتهم بالخارج .

لقد ساهمت النصوص المسمارية المكتشبة في حضارة وادي الرافدين وفي مختلف عصوره التاريخية ، في الكشف عن الكثير من هذه النشاطات الاقتصادية وخاصة التجارية منها .

وبفضل الجهود الكبيرة لعلماء الاثار والحضارة واللغات القديمة واستقراءاتهم وتفسيراتهم للأدلة والنصوص المكتشفة في مواطن الحضارة في أرض الخليج وعلي امتداد سواحله الغربية والجزر المحاذية لهذه السواحل ، وفي أمهات الحواضر القديمة في دلتا وادي الرافدين إلي الشمال ، بات التعرف علي أركان أساسية من حياة سكنة الطرق والخليج العربي الاقتصادية ميسوراً في ميادين التجارة والزراعة والصيد البحري .

والتجارة بصورة عامة في العصور القديمة بدأت بالمقايضة ، سلعة مقابل سلعة ، والتجارة سبقت ظهور التاجر فلم يكن ضرورياً ان يكرس الناس كل نشاطهم لإجراء المقايضة ، لأنهم اكتفوا لحقبة طويلة بمبادلة ما يملكون بكثرة مقابل ما كانوا بحاجة اليه دونما وساطة التاجر.

وقد سبق ظهور التاجر الكبير ظهور التاجر الصغير الذي كان يقتصر عمله علي توزيع البضائع . وقد مهدت بعض المواد التي يبحث عنها سكان العراق

والخليج العربي القديمة كالحبوب والجلود والمنسوجات وبعض الألبسة الجاهزة والزيوت والصوف والخمور قيام تجارة خارجية هامة مع وادي الرافدين الذي كان يستورد بدلها عن طريق " دلمون " النحاس والأخشاب والأحجار بما فيها بعض أنواع الأحجار الكريمة كاللازورد والعقيق والفضة والذهب .

وبعض الصناعات العاجية واللؤلؤ والتمور والمواد العطرية فالنحاس كان يصهر في مجموعة من القري المنتشرة علي السفوح الغربية للسلاسل الجبلية في عمان (القديمة)، والتي تؤرخ في حدود الألف الثالث قبل الميلاد .

والذهب والأحجار الكريمة ومنها العقيق، وبعض انواع الطيب كانت من نتاجات الارض العربية، والأخشاب وبعض الاحجار الكريمة كاللازورد والعاج فإن مصدرها حوض وادي السند ، في شمال غربي القارة الهندية (اقليم ملوخا) موطن حضاراتي " موموهنجادارو وخراباً " المعاصرتين لحضارة السومريين والأراميين (البابليين) في وادي الرافدين في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد .

ومنذ الألف الثاني (قبل الميلاد وخلال العصر البابلي القديم جاءتنا نصوص مدونة بالخط المسماري تشير إلي أن تجاراً عراقيين كانوا يذهبون إلي دلمون (البحرين) لأغراض التجارة ويمكثون هناك زمناً ثم يعودوزن محملين بعيون الأسماك (اللؤلؤ) ، كما تشير الي ان تجاراً من "دلمون "ياتون إلي" اور" وبابل وعدد آخر من حواضر العراق القديم لممارسة اعمالاً تجارية .

وأن هناك نصاً من نفس الفترة الزمنية يحكي أن " دلمون " كانت تستورد الصوف والحنطة والسمسم من وادي الرافدين ولدينا نصاف اخران وجدا في مدينة " نفر يشيران إلي أن دلمون كانت تصدر التمور الي بابل .

وقبل ذلك بقليل ، في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد ، يشير الأمير " كوديا" حاكم لكش بانه كان يحصل علي الخشب والمرمر والبرونز والذهب من مناطق دلمون (البحرين) وسكان (عمان) لتشييد المعابد وصنع التماثيل له ولالهته .

وهناك ايضاً نصاً مسمارياً في مدينة " اور" يشير الي تنظيم قرض قيمته خمسة شيقل (٨,٤ لترا) من الفضة لتاجر عراقي في دلمون ثمناً لشراء عيون السمك اللؤلؤ وبضائع أخري .

وهناك نصاً آخر من " أور " ايضاً يتحدث عن رجل يدعي لو – أنيلا استلم بضائع من معبد ننار (غله القمر) في أور قيمتها ستون " ثالنت " من الصوف (الثالنت يعادل ٣٠,٣ كفم) وسبعون ثوباً ومائة وثمانية قطعة جلدية وستة " كور " من زيت السمسم (الكور يعادل ٢٥٢,٦ ترا) دفعت جميعها ثمناً لصفقة نحاس من دلمون .

تشترك اقطار الخليج العربي مع بقية مناطق شبه الجزيرة العربية في تعرضها للجفاف ونقص في مصادر المياه العذبة التي تعد من أهم مقومات الحياة الاساسية ، لذا يتركز الاستيطان في بقاع تتوفر فيها المياه كالمناطق الجبلية وسفوحها والواحات والعيون ، لأنها توفر مستلزمات البقايا والنماء والتطور .

وتوارث العرب خبرات الأعمال الأورائية ومعرفة مواطن المياه الجوفية وكان مهندسو الارواء العرب الذين يعرفون باسم " القناقن " يتميزون بمهارة شديدة في معرفة مواطن المياه الجوفية وكمياتها وبعدها عن سطح الأرض .

وتناقلت الأخبار براعة العرب في الوصول الي المياه الجوفية ومعرفة أماكنها وقد أحيطت هذه الاخبار، او بعضها، بهالة من الخيال نجدها لدي (هيرودتس) حيث يقول عن العرب بأنهم كانوا ينقلون المياه من نهر عظيم في جزيرة العرب في أنابيب من الجلود وتسير هذه المياه لبضعة أميال لتصل اباراً تخزن فيها ولا يعرف مواضع هذه الابار في بلاد العرب سوي ابنائها .

ومن انظمة الري البارعة لدى العرب قديماً وحتي الان والتي تعرف بأسماء مختلفة، باختلاف الأمكنة ، فهي في الخليج العربي تدعي (الأفلاج) وفي العراق (بالكهاريز) والفجارة في أقطار المغرب الغربي ، والقناة في إيران وطريقة استخدامها تدل علي اصولها العربية .

لقدر قدر بعض الباحثين أن المساحات المزروعة في منطقة سمار علي خليج عمان وعدد سكانها كان يفوق كثيراً واقعه الحالي ، وذلك اعتماداً علي مئات من قنوات الري (الافلاج) المندرسة ، حيث بقي عدد قليل منها يعمل بشكل طبيعي ليمنح سكنه صحار الحياة والرخاء .

وقد اكتشفت البعثة الدانمركية العاملة في التنقيب في البحرين بقايا لقناة حجرية كانت تنقل المياه من وسط هضبة البحرين حيث تتدف مياه العيون الي أطرافها المنخفضة عن مستوي الهضبة حيث قامت بساتين النخيل والمزروعات وكانت قد توقفت عن التدفق فيها بسبب الإهمال وتراكم الغرين والحجارة .

إن بقايا المدن والمستوطنات في بقاع مختلفة من أرض الخليج يشير الي توفر أسباب الحياة فيها في زمن قيامها وسكانها وإن هجرانها وتحولها الي اطلال كان بسبب توقف العناية بموارد المياه فيها وتقصير الإنسان بإدامتها .

فمدن "التاج" و "الجرهاء" كانت عامرة بالحياة مزدحمة بسكانها غنية بثراءها وتجارتها غلا انها هجرت وصارت قفراً يابساً لحرمانها من مستلزمات الحياة الأساسية من ماء وزرع .

إن زراعة النخيل في انحاء الجزيرة العربية وعلي سواحل الخليج العربي بالذت كان ، ولا تزال ، هي الزراعة الغالبة حتي قيل أن النخيل في بلاد العرب خبز البلاد ومادة الحياة وعماد التجارة فيها .

ولا يزال يستخدم في بعض انحاء الجزيرة العربية مقياساً للقيم والأسعار. ففي منطقة " الأحساء " التي تشمل منطقة القطيف التي تقع علي ساحل الخليج العربي والتي تصل بها عدد من القرى تنتشر بساتين النخيل التي ترويها الابار والعيون التي تكثر في المنطقة وكذلك منطقة " الهفوف " التي تنتشر فيها بساتين النخيل بشكل ملفت للنظر .

وفي واحة "جبرين" الكائنة الي جنوب من الصفوف ينمو النخيل بشكل طبيعي دون تدخل الإنسان. وابرز المزروعات البحرينية ومنذ القدم هي النخيل حيث لا زالت تمتد خلف المنامة بساتين النخيل في خط طويل .

وقد كان لتمر دلمون (البحرين) قديماً من صادراتها المهمة حتي انه كان مطلوباً في وادي الرافدين بلد النخيل نفسه ، وهناك اعتقاد بأن لإله

(أنزاك) غله دلمون، وأحد ابرز الهة الخليج العربي كله ، كان في بعض صفاته إلهاً للنخيل .

وتعد عمان (مكان) بوديانها المنخفضة الوفيرة المياه ومناخها الحار الرطب من البقاع المفضلة لزراعة النخيل بالاضافة الي رأس الخيمة وابو ظبي وفي قطر التي تكثر فيها الابار تزدهر زراعة النخيل ايضاً .

تؤكد الأدلة الاثرية أن صيد البحر كان إحدي الركائز اساسية في اقتصاد اقطار الخليج العربي في عصورها القديمة. ولتهيئ الظروف والخصائص المشجعة لركوب البحر في منطقة الخليج العربي فقد مارس العديد من السكان نشاطات صيد مختلفة، منها صيد اللؤلؤ، والأسماك والاصداف والقواقع البحرية.

استطاع الاثاريون من الوقوف علي عدد كبير من مستوطنات ومقار إنسان العصر الحجري القديم المتأخر، وفي حدود (٤٠٠٠٠) سنة قبل الان، منتشرة علي طول سواحل شبه جزيرة قطر كان مرتادوها قد مارسوا صيد ما توفره مياه البحر من اسماك ولؤلؤ واصداف ونتاجات اخرى تفيض بها مياه الخليج العربي .

كما ميز الاثاريون اعداداً أخرى من مقابر العصر الحجري الحديث منتشرة علي طول ساحل الخليج العربي في المنطقة المحصورة بين الكويت شمالاً وشبه جزيرة قطر جنوباً والتي كانت تحوي لقي والات صيد من الحجر بشكل مجاميع من رؤوس سهام مجنحة ورأس مدبب استخدمت قديماً للصيد البحري.

وتدلنا النصوص المسمارية ان اللؤلؤ كان مادة هامة من مواد التجارية والخارجية بين مواطني حضارة الخليج وبين مدن وادي الرافدين على مر العصور.

وفي ملحمة جلجامش مقاطع تشير الي معرفة قدماء العراقيين واطلاعهم علي اسرار صيد البحر والغوص في اعماقة ربما وصلتهم عن طريق اسلافهم من سكنة دلمون وأرض الخليج وشواطئة الغبية . وهذا ما اكدته بعثة الاثار الفرنسية التي نقبت في موقع (هيلي) وفي البحرين والذي اكتشفت منه ادلة اثارية تؤكد معرفة الناس بصيد البحر .

-فهذا اوتو نايشتم الناجي الوحيد من كارثة الطوفان حين يجد جلجامش فيسألة عن سر الخلود فيجيبة من أنه هناك نبات مثل الشوك ينبت في اعماق البحر إنه كالورد اتركه يخز يديك حتي يفصل الورد فإنه فإذا ما حصلت يداك علي هذا النبات وجدت الحياة الكبيرة وحصلت علي الخلود الذي تريد وما ان سمع جلجامش هذا القول حتي فتح المجري الذي اوصلة الي المياة العميقة وربط برجلية احجاراً ثقيلة ونزل الي اعماق المياه حيث ابصر النبات فأخذ النبات الذي وخز يديه وقطع الحجارة الثقيلة من رجليه فخرج من الاعماق الي الشاطئ .

العلاقة بين دلمون والمدن العراقية الجنوبية

وكانت السفرة الواحدة أور في (مدينة الناصرية) دلمون تشنفرذ ثلاثه ايام والسفره لابد إنها كانت خطره حيث الرياح المصحوبة بالمطر والقراصنة في عرض البحر ... وقد عاشت خلال هذه الفترة في أور جماعة من تجار دلمون وابد وأنه قد عاش انذاك في جزيرة (فيلكه بالكويت) مستوطنين دلمونيين حيث كانت سفن اكبر تمخر من دلمون الي مكان وملوخاً .

ورجال دلمون لابد وأن كانوا بحارة في الدرجة الأولي ولون الجزيرة كثيرة الماء وخصبة وقشورة بالتمر واللؤلؤ (١).

وتبين من قوائم المواد المستوردة والمصدرة في عمليات التجارة بين العراقين ان نوعاً من التكامل الاقتصادي قد نشأ بين العراقين تبرره حالة النشاط التجارى الواسعة ويتوجب علينا الاشارة هنا إلي أن النشاطات التجارية لا ينظر لها من خلال موادها وأرباحها وفوائدها المادية المباشرة ، وانما الأهم من ذلك فيما تتركة النشاطات التجارية الواسعة والمستمرة بين أهم مركزين تجاريين ومن اثر كبير علي التطور ، وتتوافر الأدلة علي كون دلمون خرال فترة المدينة الثانية والثالثة ذات اهمية تجارية كبيرة وذات اتصال تجاري واسع مع كل من العراق ومكان ووادي السند . وربما كانت أهمية دلمون كنقعلة لتزويد السفن بالماء العذب . ونعرف من نص يربع الي عصر سلالة اور الثالثة لابد انه يشير دون شك إلي علاقة ثابتة الأساس راسخة ترجع الي عصور أقدم وردنا نص عن تسلم معبد نينكال في أور منتجات ملوخا وما كان دون شك عن طريق دلمون .

(1)Geoffrey Bibby , four Tharsand yearsqo (newyonk) 1963 P 94 – 47

لترسل اليك بلاد توكريش الذهب من مارالي، اللازورد لتجلب لك ملوخا العقيق الثمين وخشب الميس شاكان وخشب البحر .

لتجلب اليك " ما كان " النحاس والديورايت وصخر الاوو وحجر شومان
لترسل اليك ارض البحر الابنوس .. زينة الملك
لترسل اليك زالماكار الصوف ، وخام .... الجيد
ان بيوت المدينة جيدة ،
ان بيوت دلمون جيدة [1]

ونعرف أن دلمون كانت قديماً هي الواسطة في تصدير النحاس الي العراق ومن الجدير بالذكر أن دلمون كانت دون شك تستورد النحاس من مكان حيث مصدر النحاس في جبال عمان . للتحري " وقد قدر أن تسعة عشر موقعاً علي الأقل منها تحوي علي ألف طن من مخلفات النحاس في كل موقع " وفي بعض محلات التعدين هناك مستقرات قديمة " ففي التعدين لا سيل هناك دليل عن وجود مستقر عند المواقع. وهناك بقايا حقول قديمة ونظم أرواء وماء وافر . . فالجماعة التي كانت تمارس التعدين لابد ان استقرت هناك . ففي موقع التعدين " نيبا " هناك الي جانب خرائب المستقرات هناك اقواس منحوته من قبل اناس في محلها وهذا نلاحظة في محل التعدين عن " لاسيل وطاوي ركه " ربما للاشراف منها علي مواقع العمل الي جانب تقديمها ظلا .

وقد ابتدأت وكانت العلاقة بين دلمون والمدن العراقية قوية وكانت السفرة الواحدة في " أور " الي دلمون تستغرق ثلاثة أيام والسفرة لا بدوانها كانت

(1) Kramer , AN tiguity , vol . 146 (419 , 1963)

خطرة مصحوبة بالمطر وقراصنة البحر كما سنري ذلك في عصر لاحق وربما خلال هذه الفترة كانت عاشت في أور جماعة في بحار دلمون ولاية وان عاشت انذاك في عصور تاريخية قديمة وقد تشكل أولوية البحر او القطر البحري بثلاثة ملوك يحملون اسماء جزرية (سامية) وانتهت أيضاً باسماء ملوك يحملون أسماء جزرية . وربما تحملنا هذه الحقيقة علي الاستنتاج بأن العنصرين السومري والجزري مهمين جداً في التركيب السكاني والحضاري لبلاد أرض البحر . وأن هذا الامتزاج بين الحضارتين لابد وأن كانت ميزة بلاد أرض البحر خلال النصف الثاني من الألف الثاني ق.م علي الاقل " ومن المعقول الاقتراض بان العنصرين السومري والجزري وقد امتزجا في الفترة التي سبقت تكوين سلالة أرض البحر الاولي وفي الوقت الذي لا نعرف فيه شيئاً عن ديانة سكانة بلاد ارض البحر خلال فترة الملك سرجون الأكدي ولكن الأمر يختلف خلال عصر هذه السلالة . فاسم أول لهذه السلالة ايلوما معناه الاكدية (ان الاله هو حقا اله) والتي قد تدل علي اقتناع بالرب الذي يعبده والتي تعيد الي ذاكرتنا الشهادة في الدين الاسلامي (لا اله الا الله) ، وقد اعتقد البعض بأن هذا الاسم يدل علي الاقل علي اتجاه نحو الوحدانية او الوحدانية التي تؤكد علي اله واحد دون انكار لبقية الارباب Henotheism في بداية الالف الثاني ق.م [1] " وأن معني اسم ملك السلالة الثاني ايتتي – ايلي – نابي ومعناه في اللغة الاكذية هو مع الاله تسميتين) او (مع الاله اتكالي) " واسم الملك الرابع كان دامقي ايليشو ومعناه (ان ربه كريم) أو (أن الهه ودود) . فالأسماء الثلاثة للملوك تدل علي

(1) Doughenty , The sealand , op cit P 25 – 26

التأكيد علي رب عام ولا نعرف اسم هذا الرب الذي اكدته الأسماء الثلاثة هذه . ولكن اسماء الملوك الاخرين خالية من أية ارتباطات دينية . ونعود فنري اسم الملك الاخير (يا حميل) ومعناه في اللغة الأكدية (الرب أيا يحفظ) " فاسم الرب العام الذي لاحظناه في اسماء ملوك الثلاثة الاوائل قد استعيض عنه الان باسم الرب ايا (انكي) ولا نعرف هل أن المقصود بالاله العام باسماء الملوك الثلاثة الاولي للسلالة كان الاله ايا . اضافة الي ان اسم مدينتهم الرئيسية كان مدينة او حصن أيـــــا (دور ايا) " اضافة الي ان اسم احد ملوك السلالة بالسومرية يعنـــي فـــي اللغة الاكـــدية (حازم ايا شار ماتي) ومعناه ابن الاله ايا ملك البلاد [1]

ولكن القضاء مع استقلالية " ارض البحر " واخضاعها الكلي والقضاء على شخصيتها المتميزة يسر بالامر الهين " فبعد حوالي الخمسة قرون الي نهاية سلالة ارض البحر الاولي ظهرت سلالة ارض البحر الثانية التي كان لها من القوة ما اجبر البابليين علي الاعتراف بها ولو ان سيادتها لم تبق مدة طويلة ، وقد ذهب البعض الي الاعتقاد باحتمال كون العنصر الجزري القوي الذي ظهر في نهاية فترة الاحتلال الكاشي للعراق الذي تمثل في اسماء الملوك الكاشيين الاخرين امثال كودر – انليل Kudur-Enlil وانليل – نادين – شومي – Enlil adin – Shumi واداد – شوم – ايددين Adad – Shum – iddin واداد شوم ناصر Adad – Shum – Nasir ومردوخ ابلا ايدينا Mardukh- Apal – iddina وأنليل نادين اخخي Enlil – nadin – akhkhi قد دخل

(1) opcit P 11 – 27

الي الكاشين عن طريق بلاد ارض البحر ، ومعني هذا احتمال كون بلاد ارض البحر وقد ساعدت علي جلب تغيير رسي في السلطة الكاشية . واعتقدوا ايضاً بأن اللفظة كاردونياش التي شرحناها في اعلاه كان المقصود به في الاصل بلاد ارض البحر " واذا هذا الافتراض صحيحاً فيدل علي اعتبار الكاشين بلاد ارض البحر جزءاً مهماً جداً من ممتلكاتهم " وقاد هذا الرأي الي الاستنتاج بان الملوك الماشيين الاخرين كانوا في الواقع من سكان بلاد ارض البحر وليسوا بابليين " ومما يؤكد هذا الافتراض ان زعيم بلاد ارض البحر المشهور من نهاية العصر الاشوري مردوخ ابال ايدنيا (مردوخ بلادان) قد اتخذ اللقب مردوخ بـــلادان الثاني [1] " ومهني هذا ان الزعيم الخليجي هذا قد عد الملك الكاشي مردوخ ابال ايددينا الذي يظهر في اثبات الملوك الكاشي هو الاول " ولو لم يكن الملك الكاشي مردوخ ابال ايددينا من منطقة الخليج العربي لما اعتبره مردوخ بلادان سابقة في الملك فسمي بالأول وحصل هو نفسه القب الثاني وبذلك قد يكون الاعتقاد بأن الملوك الكاشيين الاخيرين الذي ذكرنا اسماءهم اعلاه (ذوي الاسماء الجزرية) هم من اهالي ارض البحر معقولاً .

ويظهر ان العلاقات التجارية قد استمرت بين دلمون ومدن العراق ، ففي رسالة عثر عليها في مدينة نفر مؤرخة من السنة الخامسة من حكم الملك الكاشي برونابورياش الثاني (١٣٦٧ – ١٣٤٦ ق م) أي سنة ١٣٦٢ ق . م تذكر وجود مسؤول كاشي ينوب عن السلطة يقطن في دلمون أن دلمون ترسل انواع التمر المشهورة فيها والتي نعرف عن الطلب الشديد لها في العراق . ومن

(1) Douqhenty , These land P 27 – 29

الجدير بالذكر بأن الملك الأشوري توكولتي نينورتا الأول (١٢٤٤ ـ ١٢٠٧ ق.م) اتخذ الالقاب ملك دلمون وملوخا وملك البحر السفلي الذي قصد به دون شك الخليج العربي وربما تسلم هذا الملك وفوداً من حكام هذه المناطق وكانت له علاقة قوية مهما والا فكيف نفسر اتخاذة الالقاب ؟

وآثاريا فان المدينة الثالثة في قلعة البحرين بالبحرين التي اظهرت فخاراً متميزاً اسماه المنقبون الدنمركيون أوعية الكاراميل (بلون السكر المحروق) يعود الي العصر الكاشي وارجعوه الي الفترة ١٧٥٠ ـ ١٢٠٠ ق . م (يشمل جزء ب فترة العصر البابلي القديم حتي نهاية عصر الاحتلال الكاشي). وقد عثر في المدينة التي تعود الي العصر الكاشي هذه في القلعة علي قصر ظهر انه كان واسعا جداً وقد وجدت فيه بوابتان " وبه قسمان من الغرف يفصلهما عن بعضهما جدار " وكل قسم من اقسام القصر واسع وتطل بوابتها علي الشارع " وبناء القصرين علي دلجة من الفخامة " والي جانب قاعة المدخل في القسم الاول هناك مصلي فيه مذبح علي يمين المدخل الرئيس وهي تماثل موقع هذه المذابح في البيوت التي تم العثور عليها في موقع بجنوب المراق من حوالي سنة ١٨٠٠ ق . م وفي القصر المجاور غرفة كبيرة بابماد اعتيادية وبوابات مزدوجة عند كل نهاية وفي وسط كل جانب وقد اطلق المنقبون عليها غرفة العرض وفيها مصلي " وفي كل بيت ثلاثة مرافق " وهذه البناية اما أن تكون قصراً لحاكم او بيتا لرجل ثري وجيه معروف آنذاك ، والبيتين كما ذكرنا يرجعان الي العصر الكاشي " ووحد زقاق ضيق بين البنايتين وعثر علي اجزاء مغطاة بالصخر خارج هاتين البنايتين " وان البالوعات بالواقع هي اكثر قدما من العصر

الكاشي. وأن البناية الكاشية الجنوبية تتألف من ساحة مركزية متجهة من الشرق الي الغرب ربما كانت مسقفة مع غرف علي جوانبها وجميعها وجدت محروقة " وعثر فيها علي بقايا برونز وكسرات فخارية - وتحت أرضية القصر وجد وعاء فخاري عثر فيه علي كمية من الفضة وبقايا قماش منسوج " والفضة عبارة عن قطع مذابة واجزاءها من اساور وعدد من الاقارض والخواتم " والكنز كما يظهر هو دفينة صائغ فضة مدفونة في البناية الكاشية ومن الصعب معرفة ان كان معاصراً للقصر وربما دفن متأخراً " والي شمال ساحة البناية الكاشية بنايتين حفرت واحدة منها بصورة كاملة واخري جزئياً (1). والغرفة الي اقصي الغرب من هذه الغرف . وفي الغرفة المركزية هناك طبقة محروقة الارضية تتألف من كسرات فخار محروق ونوي تمر " وهناك فوق الطبقة المحروقة شضية من رقيم مسماري ورأس سهم برونزي وظهر أن السور قد شيد خلال عصر باربار واعيد بناؤه في العصر الكاشي حيث تم تعريض السور بتشييد حاجز الداخلي من السياج . ويستمر السور جنوباً في خط مستقيم لمسافة مائة متر علي الاقل . ويصل في النهاية هذه الي بوابة صغيرة في السور . وعرض البوابة عند مستوي الحاجز ١,٧٥ متراً و ٢,٦٠ متراً فوق قاعدة السور . وقوي السور هنا الجزء المحصن الذي يبرز حوالي ٧٥ سم . وهذا يقترح احتمال وجود خندق خارج السور فوقه بعض القطع الخشبية للعبور . كما تم الحفر في سلسلة الغرف بالبناية المرتبطة بالقصر . واكبر غرفة طولها عشرة

(1) D auqhenty : opict P 29

امتار عرضها ٤,٥ متر علي جدار (هناك بابان متقابلان)(١) . وهناك بوابات اخري في نهاية جدران هذه الغرفة وبقايا موقد علي كل نهاية . وعثر علي غرفتين اخرين في البناية الكاشية ذات جدران تصل في السمك المتر الواحد . وعثر هنا علي آثار حريق هائل حيث عثر في الطبقة علي بقايا حرق خشب وحصران محروقة مصنوعة من سعف النخيل المظفور ربما سقطت من السقف المحروق (٢) .

وعثر تحت ارضية القصر الشرقي علي جدران ضخمة سمكها ياردة واحدة ظهر أنها بناية مستطيلة كبيرة فيها ساحة مركزية ضيقة مع صف من الغرف المربعة الصغيرة علي كل جانب . وليس في هذه البناية أية مزارات أو غرف عرش أو مرافق بل هناك سلسلة من الغرف المشيدة علي خط واحد تفتح من القاعة المركزية او الساحة . ومن الجدير بالذكر ان البناية من العصر الكاشي هذه قد انتهت حرقاً حيث يمكن رؤية اثار الحرق علي اسوار الجدران الي حد قدمين فوق الارضية . وقد ظهر من نتائج حسابات طريقة الكاربون ١٤ أن البناية قد احرقت حوالي سنة ١١٨٠ ق . م أي حوالي نهاية الاحتلال الكاشي للعراق . وقد تم العثور علي كميات كبيرة من التمور مخزونة في هذه البناية الكاشية مما يؤكد كونها مخزن غلال لاحد التجار خاصة وأن العراق كان يستورد التمر من دلمون واستمر استيراده له مع ماكان يستورد من دلمون خلال فترة الاحتلال الكاشي . وقد ظهر من وثيقتين عثر عليهما في مدينة " نفر" بالعراق ما يؤكد استيراد المدن العراقية للتمر الدلموني الذي كانت له قيمته عند

---

(1) op cit , p 29
(2) Geoffrey BiBB , Avabain Gulf Archelopp P 101 - 103

العراقيين . ومن الغريب انه لم يعثر في معبد باربار ولا في القصر او البيوت من قلعة البحرين علي اية وثائق مدونة – وهذه اما ان يكون سببه ان اهل دلمون لم يعرفون آنذاك اية كتابة أو انهم قد كتبوا علي مواد غير الطين تلفت علي مر العصور . ولكن يظهر انهم قد استعلموا اللغة الاكدية خلال العصر الكاشية . وربما يعود المخزن هذا الي شخص بابلي كانت له لغته الخاصة وعاداته المختلفة عن تلك السكان المحليين وقد عثر علي رقيم مدون باللغة الاكدية ربما يكون نصا مدرسياً وهو عبارة عن نسخة طالب يحوي امثالاً بابلية . ولا نعرف هل يعود الي ناسخ من دلمون يعمل عند هذا التاجر الذي افترضنا كونه بابلياً ؟ وان الرقم الاخري التي عثر عليها في هذا القصر والمدونة هي الاخري باللغة الاكدية فقد وصلت مع الاسف مهشمة في الغالب . وانها كما يبدو عبارة عن قوائم بالسلع مما يؤكد كون البناية مخزناً آنذاك . وهناك بناية أخري من نفس العصر مجاورة الي المخزن علي طول جانبة الشمالي . وأن الشارع الذي تقع عليه البناية عريض وهذه الحقيقة (الشوارع العريضة في المدن) موجودة في مواقع " هارابا وموهنجو دارو " من وادي السند مما يؤكد تأثر تخطيط المدينة في دلمون بخطط مدن وادي السند . وهناك عبر الشارع جدران بنايات اخري ضخمة (1) .

وهناك ختم ربما يعود الي فترة الاحتلال الكاشي (حوالي سنة ١٥٠٠ ق . م) من اختام الخليج (دائري الشكل) نشاهد علي وجهه شخصاً مع حمل بقسمين ربما يتكون من أوعية فخارية أو من الجلد وقد يكون هذا الشخص حامل ماء

(1)Bibby , Loking PP . 361 – 366 and suveny in oman , p 143 2.B candi , Stephen collierand O . B oe, Excavations

(سقاء) وفوق شكلين شبيهين بالنجوم . وهناك أشياء مدلاة من الحمل ربما تكون شبكتين صيد في كل شبكه سمكة " الختم ١٢ في تصنيف جاد " وعثر من الفترة ١٩٠٠ – ١٨٠٠ ق . م علي مدافن ومحلات سكن في شبه جزيرة عمان مثل المنطقة المسيجة الدائرية عند فرق بدليل وجود الأوعية المزججة " والي جانب هذه هناك المنطقة المحاطة السور الدائري في منطقة الروضة ومواقع ويحي المر وزابي . كما عثر علي بناية داخل سور في موضع عراقي قرب قرية عبري عند وادي طيب لابد أن تعود إلي هذه الفترة .

وعلي الاغلب تعود الصور المنحوته بصورة رئيسية علي الواجهات الوعرة من الحجر الجيري في وديان الجبل الاخضر الوعرة الي نهاية العصر الكاشي .

وتحتلف هذه الصور المنحوته عن بعضها بالحجم والتعقيد . ونري فيها صور رجال علي صهوات الجياد أو علي جمال ونلحظ طريقة الركوب على هذين الحيوانين فالخيول معروفة منذ العصر البابلي القديم في العراق وغدت أكثر استعمالا في فترة الاحتلال الكاشي ولو ان احتمال معرفة الخيل في العصر السومري القديم كبير . اما الجمال مستعملة في الركوب في نهاية العصر الكاشي وان احتمال دخول البعير الي جنوب العراق من الخليج العربي في نهاية العصر الكاشي كبير . وإذا كان افتراضنا صحيحاً فان الجمل لابد ان يكون قد استعمل في النقل حوالي نهاية العصر الكاشي في منطقة الخليج العربي . وقد عثر علي هذه الصور في "وديان طيب بني غافر" طبقة وادي سختان ، الخضرة في وادي سختان، عين عمق وادي سختان وفاشة وادي سختان ووادي هاي البنت وداخاز سختان وقلعة حزم ووادي الخطة ووادي فار والقاسيتين وعقبة العير

ووادي بني عوف ووادي بني خاروس وحجر وادي بني خاروس واستال واوابي وادي خاروس ووادي السويقمة ووادي سبت وجرة والعجل ودون وابلاح ودان وادي العين الوعلا وادي سيغام وغول وادي نخر وغول ووادي الحمرة وجبل القلع وذات حيل وحيل الملقة وغبرة تنوف ووادي تنوف وتنوف الشرقي وقلعة نزوه وادي موادين ووادي حلفين الاعلي والاسفل ثم وادي بني رواحة وقلبه وغيرها . وان طريقة الرسم تختلف من منطقة لاخري بل حتي في رسوم المنطقة الواحدة والساق في الرسوم غالباً غير واضحة او غير مرسومة . احياناً نري الرجال يركبون علي الحيوان واقفين وتختلف صور الراكبين في الاسلوب والكثير منهم قد صوروا الاشكال دونها رؤوس .

وهكذا نجد انفسنا مستندين عند الحديث عن العلامات بين العراقة والخليج العربي – الي جملة من الخصائص الطبيعية المشتركة التي تركت اثرها علي حركة الناس ونشاطاتهم المختلفة ، وبالاضافة لما تركته هذه الخصائص المشتركة في اثر في الفكر الديني والاسطوري للعراقيين القدماء ، فأن احدي نتائج الاستكشافات والتسعينيات الاثرية في الخليج العربي آخذت تضفي علي هذه المعلومة الاسطورية سعداً مادياً جديداً لما يقول الدكتور رضا جواد الهاشمي وكان في ابرز المكتشفات الاثرية في الخليج العربي تشخيص مواقع ساحلية ينتشر علي سطحها فخار يشابه كثيراً ويتطابق مع ضاعة الفخارية العبيدية [1] (العراقية) ان الأساس المشترك بين مجموعة المواقع العبيدية في الخليج العربي وبني المواقع العراقية يتمثل في تشابه فخارها الملوث ،

(١) العبيد : اسم موقع اثري يبعد مسافة (١٠ كم) شمال غربي مدينة اور جنوب العراق .

وبالاضافة الي ما يكشفة انتشار الفخار العبيدي في الخليج العربي من وحدة عناصر فنية في الحضارة بين الطرفين ، فأنه يشير أيضاً الي الاتجاه الصحيح والطبيعية لصلات مركز حضارة وادي الراقدين .

أن الموطن الاصلي لمنشا التقاليد الصناعية لفخار العبيد هو في " اريدو والعبيد " لذلك فأن المواقع العبيدية في الخليج العربي تؤشر نطاق وحدة حضارية واسعة تشمل الاقسام الجنوبية للعراق والاقسام الشمالية للخليج العربي بموجب ما يسمح به انتشار المستوطنات أن لم تكن ابعد حدوداً في ذلك أو انها اقل تقدير لتؤكد لنا الصلات الواسعة والمصالح المشتركة بين الطرفين في فترات مبكرة في عمر حضارة الانسان .

لقد أثار اكتشاف فخار العبيد في الخليج العربي اهتماماً متزايداً في المحافل الاثارية، ومما زاد من أهمية الاكتشاف كون فخار العبيد يرتبط باقدم استيطان في القسم الجنوبي من العراق . كذلك اثار هذا الاكتشاف خلافاً حاداً بين الباحثين ، وكانت من ابرز نقاطة الجدل حول تعيين سبل الاتصال وطرقة واتجاهاته بين العراق والخليج العربي . فاعتقد بعضهم بان طرق الانتقال بين الجانبين كانت برية ، ورجحوا أن يكون وادي البطن كان هو المسلك الرئيسي للتصال بينهما ، وذهب هذا الفريق من الباحثين الي ابعد من ذلك عندما افترض بان اكتشاف فخار العبيد في الخليج العربي يعد مؤشراً لهجرة بشرية صوب القسم سالجنوبي من بلاد وادي لرافدين ، ولكن هذا الخلاف لم يستمر طويلاً ، حيث حسمته نتائج دراسة اجرتها جون أوتس وآخرون عمدوا خلالها لاجراء تحليلات كيميائية للعناصر المكونة لطينة الفخار أو صبغة الالوان المستخدمة في زخرفتة وقرروا

بموجب ذلك ان الفخار العبيدي الملون الذي اكتشف في المواقع الخليجية انتقل معظمة من المواقع العبيدية في جنوبي العراق ، وبشكل خاص من " اور واريدو " .

ولكون معظم المواقع العبيدية في الخليج العربي قريبة من الساحل ، فقد تم الاتصال بينها وبين مراكز جنوبي العراق عبر طريق ساحلي في مياه الخليج العربي فخلال الالف الخامس ق . م . كانت مجاميع من الصيادين أو التجار تخرج تباعاً من اور وأوريدو في رحلات بحرية في الخليج العربي صوب المستوطنات المعاصرة لها ، وتقيم هناك بعض الوقت ، وتنقل في رحلاتها كميات من المؤونة اللازمة في جرار وأوان فخارية ، حيث اهملت كسر الاواني المهشمة لتؤشر لنا لاحقا عن الصلات التاريخية المبكرة بين جنوبي العراق وبين الخليج العربي ، وهي الصلات التي تعززت لاحقا لتشكل اساسا متيناً في العلاقات بين الطرفين .

ولكن هذه الاتصالات توقفت بعد الالف الرابع ق . م . في هذه المستوطنات ويتعذر علينا معرفة السبب الرئيسي في ذلك ، والذي يحتمل ان يكون اقتصادياً قد عرقل اسباب الرحلات التجارية بين الطرفين ، أو طبيعياً كتعرض هذه المستوطنات لارتفاع مناسيب مياة الخليج العربي وتعرضها للغمر مما تسبب في هجرها كما تفيدنا بذلك الدراسات الأثارية الحديثة أو يكون السبب مناخياً ، بحيث تسبب في زيادة الجفاف ونقص مستويات المياة الجوفية تسبب في عرقلة استمرار الحياة في هذه المستوطنات ، وربما لعب العاملان دورهما سوية في ايقاف اسباب الاتصال بين الجانبين .

ومهما يكن من امر تفسيرات طرق الاتصالات او اسباب انقطاع الصلة او غيرهامن مشاكل البحث المتعلقة بشأن المستوطنات العبيدية في الخليج العربي وعلاقتها بالعراق القديم، فالامر الذي نستطيع ان نقرره يتمثل في التأكيد علي وجود صلات وثيقة وواسعة بين العراق والخليج العربي منذ فترات تاريخية مبكرة ، وان المخلفات المادية تكشف عن طبيعة المصالح المشتركة والاقتصادية للطرفين ، ولكن من المرجح انها تضمنت علاقات بشرية ايضاً ، بخاصة وان معلوماتنا عن الصلات بين الجانبين من الفترات اللاحقة تدعم هذا الاتجاه في التفكير ، فقد سبق لنا استعراض المصادر المسمارية وما تحوية من معلومات مهمة عن الخليج العربي ، والمكانة التي كان يحتلها في نفوس وعقول وديانه العراقيين القدماء بحيث حددت الجنة السومرية في احد اركانة . كما لاحظنا سابقاً وعند استعراضاً للمخلفات الاثرية ، التطبيق العلمي للتصورات التي رسمتها المصادر المسمارية لتصورهم للجنة في مجالهم الأسطوري .

<u>* ادلة جديدة في كون دلمون تقع في وادى الراقدين :</u>

ذهبت بعض البحوث الجديده والتي تم طرحها في مؤتمر الاشوربات الـ ٢٧ والمنعقد في صيف عام ١٩٨٠ / من قبل الدكتور ثبريز هوارل كارتر والمنشورة في مجلة .

والمنشورة بتاريخ ١٩٨١/٣/٤ في الصفحات ٢٢٣ - ٢١٥ وقد ركزت هذه الدراسات جلها في مجموعات ثلاث عن الاساطير السومرية وكذلك عن الاثار في وادي الراقدين فالاضافة الي المعلومات الجديدة عن الخليج العربي .

اكد الباحثون فيها على ما يلي :-

* يجب التأكيد في البداية علي أن دلمون السومرية الاسطورية والتي هي حقيقة تاريخية كما عرفنا سابقاً ، لا تقع في نفس مكان دلمون والتي لقبت دوراً اقتصادياً مهما في عصور تاريخية لاحقة والتي في المعروف الان أنها تضم جزر البحرين (وجزيرة ، فيلكان) ومعظم الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وفي الحقائق المؤقته الان ايضاً انه ليس هناك اي دليل علي علاقات تجارية بين دلمون الخليج ووادي الراقدين سابقة لسنة ٢٢٠٠ ق . م .

* ولقد اثبتت الدراسات والمسوحات الجيلوجية لمنطقة الخليج العربي علي أن الخليج كان خالياً من المياة تماماً في حدود (٥٠٠ ق . م) ذات نهري دجلة والفرات قد حضرا مجراهما ، علي حدة ثم معاً ، حتي مضيق هرمز وانهماكان يصبان في خليج عمان .

* كما ان الدكتور " تيرزا هول " اكدت علي ان مكان السومرين الاوائل كان علي طرفي مجري النهرين (أي شط العرب المكون من دجلة والفرات أو النهر المشترك الذي صار يجري في ارض الخليج لمسافة نحو ٨٠٠ كم أو سكن في أقوام عن الخليج الأوائل وعلي طرفي هذا النهر في ارض الخليج العربي ، وبامكان المرء ان يتكهن بان يؤكد الحضارة السومرية أو سابقتها قد نشات وازدهرت في هذه البيئة الخصبة الوفيرة المياة والصالحة للزراعة وليس في مكان غيرها وبالطبع ان غم الاثار لا يستطيع ان يقدم ادلة مادية الان علي ان هذه التكلفات وعلي وجوه تلك الجماعات الاولي من المزارعين بارض الخليج بسبب انعمارها بمياه الخليج لكن في حدود الستة الاف سنة التالية ما بين

(١٤٠٠٠ – ٨٠٠٠ ق . م) بدأ الخليج يأخذ بالامتلاء تدريجياً من مياة المحيط الهندي المتصاعد من الجنوب ومن الشمال بمياة وفيضانات انهري وادي الرافدين وانهر بلاد فارس بدرجة اقل وعلي ستة مراحل سجلتها لنا ظواهر بارزة في قاع الخليج علي شكل ضفاف (سواحل) ومساطب بحرية مغطاة (والتي غمرتها مياة الخليج الان) .

* وتقول السيدة تيرريزا هول : وفي هذه الفترة بقيت اراضي الساحل الغربي علي حالها رطبة وصالحة للسكن والزراعة بينما كان الساحل الشرقي علي عكس ذلك بسبب عدم الاستقرار الجيولوجي ، فلم يكن المكان صالحاً للاستيطان فقصد الناس الذين أخذ وبالانسحاب من اطراف شط العرب من ارضي الخليج التي بدأت بالانغمار بالمياة ، الي اليابسة علي السواحل الغربية والشمالية في الخليج اي الاطراف الشرقية من جزيرة العرب وحافات دلتا العراق الجنوبية وقد تركوا لنا البعض في مختلفاتهم بشكل صناعات فخارية (حجر صوان) في مواقع متعددة في هذه المنطقة ببني عمان مروراً بالامارات العربية وابو ظبي وقطر والبحرين حتي تلال البرقان في الكويت .

* وفي حدود (٨٠٠٠ ق . م) امتلأ الخليج بثلاثة ارباعة بالمياة بينما كانت درجات الحرارة اخذة بالارتفاع وعلى السواحل الغربية للخليج لازالت المخلفات الاثرية مكونة في صناعات صوانية مثيرة الي عصر حجري بسيط بعض الاماكن وربما عصر حجري قديم وحجري حديث في اماكن اخري وفي حدود (٥٥٠٠ ق . م) زود البحر العربي والمحيط الهندي الخليج قبل ما كان باستطاعته أن يستوعب اضافة الي المياة الداخلية اليه من انهار في (شمال

العراق وبلاد فارس) وفي هذه الفترة صار المناخ الدافئ والرطب في هذه الاصقاع صالحاً لنمو اشجار النخيل وبعض الخضروات الشبه المدارية .

يبدو أن هذه الفترة امتدت في عصر العبيد والذي ظهرت اماراته في سواحل وجزر الخليج الغربية، كما برز قبل ثقلة في بلاد سومر الي الشمال حتي مدينة (العمارة) كما انتشر شرقاً في بوش وفي ايران .

* وفي حدود (٣٨٠٠ ق . م) كانت درجات الحرارة علي اقصاها في منطقة الخليج حتي أنها كانت اعلي بدرجتين مؤويتين عما هي عليه الان واصبحت سؤحل الخليج كما هي اليوم في . اماكنها الحالية وعلي ما يظهر ان دجلة والفرات ، صارا يلتقيان كما هو إلي الان الاب عند القرية

* ومن المقبول القول الان ان الساطير السومرية الرئيسية قد ولدت في حضارة عصر العبيد في اواخر الالف الخامس ومطلع (الالف الرابع ق.م) رغم معرفتنا في انها قد دونت لاول مرة في حدود(٢٢٠٠ ق . م) إلا انها اعتمدت علي حكايات قديمة الاصول قبل العديد في القرون ، وبقدرما .

* ويمكن القول أيضاً ان دلمون جنة السومرية كما يقول " الدكتور أهوارل " والتي عرفت في النصف الاول في الالف الرابع ق . م بالامكانات معرفتها واستعادة ذكراها الي حد ما. اعتماداً علي معلومات جاءت من عدد فني الحكايات السومرية فها اسطورة (انكي وننحرساك) وقصة " انكي ونظام العالم" الطوفان ، جلجامش وارض الاحياء رحلات انكي وإنانا الي نفر .

ويلاحظ ان هذه القصص تكشف نواحي معينة من الحياة في دلمون والتي يمكن من خلال تحليل عملية الوصف الجغرافي نجدها تختلف عن بقية الأماكن

واذا جاز لنا الوصف ان نحدد ابرز ما يميز هذا المكان من خلال الوصف الاسطوري في النقاط التالية :-

- بساتين للنخيل ثماراً كبيرة الحجم
- اشجار باسقة التي فها يتمكن من تشيد سفن دلمون .
- حقول للحبوب ومنها الشعير .
- مدينة كانت هي ميناء للبلاد .
- دلمون كانت ارضاً خالية من الأموات فالحيوانات والمفترسة لاتؤذي احداً .
- دلمون ذات السماء لامعة صافية .
- الأرض التي زودها (انكي) الهة الارض بالمياة العذبة .
- وهي موطن السيدة النقية نتسكيلاً انه الالته انكي .
- أن دلمون في العصور السومرية والتي وصفتها لنا النصوص الكتابية وكالاتي :-
- خي أرض الصور Laund of Crossing
- الارض التي تشرق فيها الشمس التي يعيش فها (زيو سدرا نوح العراقي) حيث سر الخلود .
- الارض التى على شاطئ نهر البلاد .
- مسكن اوتو بنشتم (ككاتس) عند فم الأنهار .
- موطني انكي الذي يحكم المياة العذبة .

- جميع المباني المقدسة في اريدو ، ونهر ودلمون مخصصة لا انكي وابيه أنليل ، وأن هذه المدن تتصل مع بعضها عن طريق الماء ، كما تؤكد ذلك نصوص الرحلة ، وانها تقع علي حدود الأهوار .

* الأب وعن محاولة البحث عن موقع دلمون جغرافياً بالامتحانات استعباد عدد من الأماكن العراقية القديمة منها نفر، اريدو، اور، منطقة الأهوار ، ارضي البحر السهل العالي ، البحر العريض ، وأن الأدلة المتوفرة لدينا في الأساطير تفيدنا في حصر منطقة المكان المحتمل لدلمون الأولى (المبكره) وأن هذه الأدلة لا تلغي لبعض الأماكن إلا انها تزودنا أيضاً بأوصاف اكيده تساعد علي حل هذه المعضلة وهذه الأوصاف الاخيرة تشير الي مكان يشبه الي حد ما منطقة (القرنة) في العراق .

وأن سبب ترجيح هذه المدينة في بلاد الراقدين انما بعود لتوافر اشجار النخيل ونباتاته الكثيف وغاباته ، ولاحتواءها علي الاشجار الباسقات المتوفرة ، والحقول المزروعة فها كما وان فم النهرين والذي يعرف تاريخياً بأنه موضع التقاءها ، وسرعة المياة وطبقاتها في هذا المكان وان ما يميز هذه المدينه علي كونها دلمون القديمة ، هو وقوعها إلي الشرق من عددين المدن السومرية ، الكائنة عند نهايات الأهوار كما أن ما يرجعها علي غيرها وقوعها علي هافة نهر واسع وهذا الأمر هو الذي جعل العالم سايرز يقترحه كمكان لدلمون لذلك في مقالته والتي ذكر بانها سابقاً المرسومة باسم انهر الجنة المنشوره عام ١٩٦٧ والتي استخدم فيها تحليل النص التوارثي عن جنة عدن في وصفة للتقاليد السومرية وفي مقارنته الراوية مع بيوت ومباني الاهوار الحالية ومعوماته

الشخصية عن جغرافية المنطقة ، وقد اكد نفس الرأي قبله الباحث لو فنتس في القرن التاسع عشر الميلادي والذي كان قد انبهر كما اسلفنا سابقاً في الخضرة الطاغية بساتين النخيل في القرنه كما لاحظ الخليج فيتقدم عشرين ميلاً نحو الشمال باستمرار وقد اعطاه هذا المكان انطباعاً بأن هذه النقصه في دلتا العراق كانت يوماً عند ساحل البحر .

* وما يولد ما ذهبنا اليه ايضاً نص ملحة (زيو سدرا) وقصة الطوفان والتي يقول فيها ان الناجي الوحيد من الطوفان قد منح الخلود وذهب يسكن بعيداً عنه فم الأنهار (في أرض العبور) في منطقة دلمون (في المكان الذي تشرق منه الشمس – أوتو) كما تقول الاسطورة وان هذا الفيضان العظيم قد وجدت بقاياه اثارياً في بداية عصر الوركاء ، والذي يعود الى منتصف (الألف الرابع ق . م) والذي شوهد بوضوح في طبقات متعاقبة واضحة في مدن اريدو ، واور ، والوركاء [١] .

<u>* دلمون وموقعها في البحرين والخليج العربي .</u>

وقد أكد الكاتب " جيوفري بيبي " ما ذهبت اليه (تيريزا هورال) من السومريين قد اعتقدوا بوجود " بحر الماء العذب " والذي يبطن الارض والماء المالح (Abysso) والذي يظهر في الكتاب المقدس على نحو (المياة التي تقع اسفل الارض) لقد كان انكي اله اللجة وهو الذي اعطي المياة (لدلمون) ولقد كان البطل العراقي (زيو سدرا) من الفيضان ولقد استقر زيو سدرا في دلمون وهتزا اصبحت (دلمون) خي الموطن الابدي للسلق الخالد كدليل البشرية .

(١) جيوفري بيبي البحث عن دلمون صـــ ٩

ولابد ان جلجامش قد ذهب لدلمون في بحثة من اجل الخلود ولكني هذا الباحث يعود لتوكيد عدم توصل الباحثين لحركة الحقيقة بموقع دلمون فيقول (ولسوء الحظ لانزال وحتي هذه اللحظة بعيدين عن معرفة موقع دلمون بالضبط وكل ما نعرفة انها تشكل جزءاً في بحر الجزيرة العربية بمحاذاة الخليج العربي وأنها وامدة من جزر ذلك الخليج علي الاقل وهناك مسافة مذكورة من قبل وهو ما ورد في قول " سرجون الأشوري " انها علي بعد /٣٠/ ساعة مضاعفة وذلك عائداً الي ان الأرقام في جوليات ملوك أشور الايركن ايها كثيراً ولأنني بالرغم من معرفتنا بأن العاصمة وهي اسوان الواقعة علي جزر الخليج كتنات لا تصلح قياس تلك المساحة ويضيف نفس الكاتب بالاستناد إلي مقولاته عن الأثاري رولنسون من أن (دلمون) بعداً يعيش حاكمها (أو يري) علي بعد (٣٠ / ساعة مضاعفة بعيداً في وسط بحر الشمس المشرقة) وادي رولنسون أن البحرين تتطابق (ودلمون) ويسوق هذا النص السرجون الاكدي هذا المعندي فقال سرجون انه نهر (بيت اياكن) شمالاً وجنوباً الي المدن الاربع الواقعة علي الحدود العيلامية ، وعندها فقط يواصل الحديث سائداً او يري ملك دلمون الذي يبعد موقعه ثلاثين ساعة مضاعفة ويقع مكانة مثل السمكة في وسط البحر حيث تشرق الشمس ... وقد سمع بعظمة ملكي فارسل هداياه [1].

ويقول الباحثان عبد الله بن خالد الخليفة وعبد الملك بن يوسف الحمد أن بني اسطورة السومريين وورويات المؤرخين الكلاسيكي حلقة مفقودة ليس في اليسر

(١) جيوفري : البحث عن دلمون صـــ ٩ وما بعدها

تحديد معالمها في التاريخ القديم تماماً كما لا يمكن فصل(الماء المالح الأجاج عن الينابيع العذبة في باطن الخليج العربي) [1].

والغريب في الأمر ان جيوفري بيبي يجاري الاخرين في العوم حول الحقيقة بلا دليل فيقول . أن دلمون هي دولة تبلغ حجم بابل واشور مجتمعين ، وشكلت سوقاً واسعة فريده ، زودت بلاد الرافدين بالنحاس وسلع الترف في الشرق وكانت خامس امبراطورية عظيمة في العالم القديم . ولا نجد في هذا الرأي ما يدعمه في كثيرين المصادر التاريخية او يدعمها في النصوص بل بالعكس ما المصادر وهي اختلف في موقع (دلمون) لكنها تتفق في كون البحرية كان واحدة في مواني التي تقع هذه الامارة وكانت تقع سيطرتها للدولة الاشورية ، وهذا الامر هو الذي جعلها امرائها يدفعون الدية لملوك اشور كما هو واضح في النص الذي قدم بها ملك الجرينة المدعو (او ليري بالهدية الي الملك سرجون الثاني .

(١) البحرين عبر التاريخ صـــــ ٤

الجنة أو "دلمون " هل هي في الهند

وقد ناقشت الباحثة الهنديـــة روميلا ثـــابيـــروز مواقـــع (دلمون ومكـان ملوخـا) مـن وجهـة نظـر المـصادر الهنديـة وخرجـت بالاسـتنتاج بـان الأسماء دلمون ومكان وملو خـا ليست بكلمـات سومرية ولهذا السبب ليست لهـا أية معاني باللغـة السومرية وحاولت ان تعطـي أسماء هذه الأمـاكن اصولاً شبه درافيديـة (مـا قبل الدرافيديـة) . وقد اشـارت إلي الأثـار الكثيرة التـي تم العثور عليها خلال الحفريات التي تدل علي العلاقات كالاف من الأواني المصنوعة من الحجر الصـابوني الناعم الملمس " الستيتايت " مــن موقع (تبة يحي) التـي تشير إلي علاقة مع حضارة هارابيا من وادي السند. وتمـاثل سبائك النحاس علـي شكل قطعة دائرية صغيرة ، والحروز النحاسية والتماثـل النحاسـي لحيوان من شوشـه بعيلام وآخر من لوثال في الهند من الألف الثالث ق . م .

مهمة في هذا الباب. ثم وجود الادوات التي تعود لحضارة هارابيا في المواقع العراقية بالطبقات الخاصـة فـي العصر الأكدي مثـل الفخـار والخـرز وتطعيمـات الصدف والأختـام المصنوعة من الطـرز السندية إلـي جانـب التشابه فـي تماثيل الرجـال. إلـي جانـب وجـود الأوعيـة ذات الشريط المنفـرد Reserved Slip Ware ، في اور ، وتل براك ، في الجزيرة الفراتية والطبقات الأولي من موقـع (موهنوجو دارو) فـــي وادي الســند (ولوثـال) ومختلـف بلوجستان واخيراً في كـوتش (كـوج) تـدل علـي علاقـة سبقت العصر الأكـدي . ففـي الأسـطورة السومرية المعروفـة بأسطورة (انكـي وننخورسـاك) نـري . الـرب أنكـي يبيـارك أرض ملوخاً ذات الرخام وطيورهـا التـي اسمتها طيور دار (ربمـا الطـاووس)

ثم قارب (ملوخا) المعروف باسم ماكيلوم Magilum التي تحمل الفضة والذهب إلي الأيكور (البيت الجبل وهو معبد الرب انليل في مدينة نفر) . وأن ملوخا ذات ارتباط مع دلمون ومكان . وقد غزا الملك ريموش (٢٢٦٨ – ٢٢٥٩ ق . م .) ابن وخليفة الملك سرجون الأكدي (ملوخا) وقال (نرام سن) حفيد سرجون الأكدي (٢٢٤٤ – ٢٢٠٧ ق . م .) أن أهل ملوخا التي يسميها الأرض السوداء يجبلون اليه جميع أنواع البضائع النادرة التي تشمل ايضاً العقيق الأحمر واللازورد الأزرق . وقدمت ملوخا كما يذكر كوديا أنسي مدينة لكش (٢٠٩٣ – ٢٠٧٣ ق . م) الحجر الأحمر والخشب للمعبد . حيث نقرأ في تمثال دكون سفن مكان وملوخا وكوبي Gubi ودلمون قد ارسلت الي الجزيرة الكبيرة وجاءت سفنها محملة بالخشب المعمول (كيش – ما – نو – كان – لا – أم) . ثم ذكر في اسطوانة أ (ومن أجل بناء معبد نينكرزو أرسلت (مكان وملوخا) جزية كبيرة من جبالها لبناء مبعد نينكرو) . وفي نص اخر لكوديا فهو يذكر في أن (مكان وملوخا) وكأنها بعيدة جغرافياً (معبد الأينيننو .. سوف يرتفع بريقه في السماء . وأن لمعان معبدي سينير البقاع وسيملاً اسمه الأراضي عند الأفق وسوف ترددها مكان وملوخا من جبالها).

ويظهر أن العقيق الأحمر وخشب الميسما كاننا (Mesmaganna) وخشب البحر الجيد كانت من منتجات ملوخا الرئيسية . وكان أهل ملوخا كما تنعتهم الوثائق المتوفرة ملاحين ممتازين . ثم تنتقل (ثابير) إلي مناقشة وثائق فترة سلالة اور الثالثة (٢٠٥٠ – ١٩٥٠ ق . م .) حيث كانت واردات (ملوخا ومكان) النحاس والعاج والبصل والعقيق . فملوخا حسب رأيها لابد ان تكون

منطقة ساحلية ولهذا السبب نلحظ الإشارات الي ملاحيها الممتازين وشعبها البحرين وإن الإشارة في الوثائق الي العقيق كونه واحداً في البضائع التي تصل الي هذه المدن كان يستورد في منطقة كوجرات الواقعة علي ساحل الهند الغربي ذات الأتصال بمحلات الحصول علي العقيق أمثال (راجبيبلا) ومنطقة (نارمادا) ، وأن خرزات العقيق علي شكل الكلية التي عثر عليها خلال الحفريات في موقع اور المرتبطة بوجه خاص مع (هارابيا) مدرجة ضمن منتجات ملوخا . والمعروف ان مصدر اللازورد الأزرق كان منطقة بدخشان (في أفغانستان) حيث تنقل من هناك إلي سواحل إيران أو غرب الهند. وربما استحصلوا اللازورد أيضاً من سلسلة جبال سابتورا في غرب الهند كما استحصلوه من سلسلة جبال (ساهيا وداري وهي القسم الشمالي من جبال الغات الغربية في شبه جزيرة الهند) . وفي بداية الألف الثالث ق . م . كما تذكر (ثابير) كانت مواقع شمال العراق كما يظهر كونها كانت نشطة في تجارة اللازورد ولكنها اضمحلت بعد ذلك واصبحت اكثر نشاطاً في المواقع الجنوبية من العراق ، وعثر خلال الحفريات في موقع (لوثال) علي خرزتين من اللازورد تدل اما انهما قد صنعتا محلياً أو ان تجار لوثال كان لهم منفذ إلي مصادر بدخشان ، ويذكر كتاب الطواف حول البحر الارتيري من القرن الأول الميلادي ان العقيق كان بين صادرات غرب الهند .

ثم تذهب (ثابير) إلي القول : باحتمال كون اسم ملوخا اسماً شبه درافيديا (Proto – Dravidian) وهو بالأصل ميلوككو ومعناها (عالي ، نهاية ، غرب) ثم أن معني ميلوككو (ملوخا) في اللغة السنسكريتية النهاية القصوي

والغرب وأن الحرفين المتجاوزين ك ك في الكلمة قد نقلا وأصبحا في اللغة السومرية . وتذهب (ثابير) إلي ان هناك تفسيرين محتملين إلي موقع ملوخا الأول الي الشمال والثاني الي الشمال الغربي للسند يؤدي الي تجارة اللازورد وبذلك يضعف الاحتمال بكونها المنطقة الساحلية إلا إذا كانت تصل مكران . وبذلك يمكن تطابقها مع المنطقة الساحلية لغرب الهند . فإذا كانت الأولي فتكون بذلك الي غرب حضارة هاربيا . وإذا كانت الثانية فتكون في نهاية توزيعها مراكز حضارة هاربيا . وربما كانت ملوخا برأيها تقع في الأصل في النهاية الغربية ولكن منذ زمن سرجون الأكدي وقد طوبقت مع كوجرات (مصبات سابارماتي ماهي ، نارمادا ، تابيتي وشمال كونكان) . أما إشارة المصادر السومرية إلي أن سكان ملوخا شعب أسود اللون فتفسرة ثابير بأنه أمر لا يدعو الي الاستغراب لأنهم بصورة عامة يماثلون الجماعات التي كانت باستراليا قبل دخول الأوروبيين لها إلي جانب وصف كتاب الطواف حول البحر الارتيري أهل كوجرات بانهم سود البشرة وطوال القامة . وأن المنطقة المجاورة إلي كونكان (الواقعة علي ساحل الهند الغربي) كانت معروفة بالعصور التاريخية الأولي باسم كارناتا التي قد تكون مشتقة من الكلمة كارنادو التي معناها في اللغة الدرافيدية البلاد السوداء وربما كانت مدينة لوثال هي المركز التجاري لمنطقة وادي السند الذي يتصل تجارياً ببلاد سومر . ويظهر الدليل الأثاري بأن لوثال كانت قرية صغيرة ثم صارت منذ حوالي سنة (٢٤٥٠ ق . م .) عند وصول الهارابيين لها مدينة واسعة يغلب عليها العنصر الهارابي . وحوت الطبقات الأولي من موقع لوثال الادلة الكافية من الأوعية ذات الشريط المنفرد الذي

نعرف وجوده أيضاً في مواقع (اور) في جنوب العراق (وتل براك) في الجزيرة الفراتية والذي وجد ايضاً في الطبقات الأولي من موقع سوركوتادا في كوتش . ويشمل كنز الحلي الذي عثر عليه في موقع (لوثال) علي تسع خرزات دائرية الشكل مع أنابيب محورية تشابه مثيلاتها التي وجدت في مقبرة اور الملكية وهذا الدليل يؤكد قوة العلاقة بين هذه الحضارات وغن اكتشاف ختم من طراز الخليج العربي في لوثال يشير الي علاقة مع خطوط التجار الرئيسية في الخليج العربي. كما عثر مصنع للخرز في مدينة لوثال ينتج الخرز المصنوعة من اللازورد واليشب والاوبال والبلور وأخري صخرية . وهناك أدلة من لوثال أيضاً عن وجود صناع للأدوات النحاسية وقد اكتشف في محلات عملهم سبائك بشكل قطع صغيرة مدورة مشابقهة لتلك التي عثر عليها في شوشه والعراق.

وناقشت ثابير موقع دلمون أيضاً . فقد ذكرت أن احد النصوص المسمارية يشير إلي دلمون بأرض العبور وكون الورادات المستحصلة من دلمون تشمل النحاس والخشب والحجر والعاج والأصداف والمرجان الأبيض واللؤلؤ (الذي أطلق عليه في الكتابات السومرية ـ الاكدية عيون السمك) ومواداً اخري أمثال أراسوم وخطوموم وميراخدوم . وكانت المواد المصدرة الي دلمون من العراق بدليل المصادر نفسها الصوف والثياب الجاهزة وزيت السمسم والجلود والشعير وأحياناً خشب الأرز .

وذكر الملك الأشوري (أشور بانيبال) الغنائم التي وصلت من دلمون بينها سبائك نحاسية وأدوات حماسة وبرونزية وعصي من الخشب الثمين والكحل .

وبحثت ثابير احتمال كون الاسم من اصل ذي علاقة بشبه القارة الهندية .

فالكلمة تيل TiI في اللغة الما قبل الدرافيدية معناها نقي او نظيف .

ومعني كلمة مان في نفس اللغة بلاد ، ارض . فكلمة تلمان (من مزج الكلمتين تيل ومان) المشابهة الي كلمة تلمون معناها في اللغة الما قبل الدرافيدية الأرض الطيبة ، الطاهرة .

فمثل هذه الأرض الطاهرة تقع علي ساحل الهند الغربي وتجعلها (ثابير) منطقة (كاثياوار) وهذه المنطقة نفسها يطلق عليها في جغرافية البورانا (كتب هندي مقدسة) التسمية سوراسترا (ومعناها الأرض الطيبة) . وإن سمواقع هاربيه من العصور المتأخرة مثبته في جميع منطقة كاثياوار والتي ترجع الي الفترة المعاصرة للعصر الأكدي في بلاد الرافدين . ولكن من الصعب تعيين مواقع هارابية من أزمان أكثر قدماً كأن تكون معاصرة (لاور نانشة) حاكم مدينة (لكش) في جنوب العراق . ومن المحتمل ان التنقيبات المقبلة علي طول ساحل (كاثياوار) الجنوبي ستكشف عن مواقع قد تعود الي أوائل عصر هاربا وربما الي ما يسبقة .

وربما ازالت الفيضانات التي دمرت كاثياوار وكوتش حوالي سنة ١٥٠٠ ق. م . الأدلة لهذا من المواقع الهارابية . وإن الإشارات إلي دلمون في المصادر العراقية من العصر الاكدي تدل علي أنها منطقة غنية بمواد خام .

وأن سوراسترا تقع إلي الشرق من بلاد سومر وبذلك حيث تشرق الشمس أولاً . وأن ارتباط هذه المنطقة برب الماء معروف من العصور التاريخية حيث أن ربها هو الإله فيرونا رب الماء والبحر الهندي والذي يرتبط بصورة خاصة

مع نهر السند . إلي جانب كون سوراسترا منطقة كثيرة الغابات . وتعرضت ثابيرا الي حقيقة كون التجارة بين دلمون والعراق قد توقفت في زمن يتفق تماماً مع اضمحلال مدن هاربا والذي ربما كان موقتاً لأن الطلب علي منتجات دلمون في الألف الأول ق . م . قد ازداد علي يد الملوك الأشموريين من العصر السرجوني (٧٢٢ – ٦١٢ ق . م) ومن الجدير بالذكر أن المصادر الجيلوجية الأولي تذكر كون منطقة سوراسترا ذات ماضي عريف بالتجارة ويتردد عليها التجار كثيراً . وربما تكون(خواندارو) التي جاءتنا من كتابنا الملك (أشور بانيبال) برأي ثابير ، هي (قبيلة الأندرا) التي كان ملكها يحكم خلال القرن السابع ق . م . في سوراسترا . إضافة الي ان ملوك اندرا كانوا في العصور التاريخية مرتبطين من غرب الهند . وأن عصي الخشب التي تذكر المصادر المسمارية كونها من منتجات دلمون ربما تكون ، برأي (ثابير) مصنوعة من خشب الصندل المتوفر في المنطقة أما الكحل فهو موجود ايضاً في سوراسترا . وأن ذكر البرونز والأدوات البرونزية يدل علي حصول تجار سوراسترا علي منافذ الي مناطق إنتاج النحاس . وتضيف ثابير هنا منطقة كوبي / كوبين Kupin / Gubin المرتبطة مع (دلمون ومكان وملوخا) التي وصفها كوديا مصدراً للخشب . (فأشور بانيبال) يذكر محلاً أسماه كوبيي Kuppi أيضاً . وكلمة كوبيي بتحليل ثابير لابد أن تكون كوببام في اللغة الما قبل الدرافيدية التي هي نهاية طرفية تشير إلي مكان حيث نقرأ اسم المكان علي ساحل الهند الغربي كوباكا الذي ربما يكون المنطقة الساحلية إلي كارناتاكا (ميسور) ولو أن مصدراً

آخر قد وضعها في شمال الملبار . علماً بأن هناك إشارة في نص متأخر إلي كوبالاكاتا – ديسا في غرب التي طوبقت مع منطقة كوا GOA .

وذكر لنا (الملك آشور بانيبال) ان ملك كوبيي هو راثاميتي ra-a-mit-te التي يمكن قراءتها أيضاً رائاباتتي ra-a-bat-te المشابه برأي ثابير لاسم قبيلة وتعجل ثابير الجزيرة التي ذكرتها المصادر الاشورية باسم (خازماني) وقالت أنهما علي طول دلمون وكون الرسل يسافرون عبر البحر والبر منها إلي بلاد آشور ، أبعد من كوبيي وتطابقها مع (جزيرة سيلان) وتستطرد بأن خلال الألف الأول ق.م . كان جنوب الهند وسيلان ينعم بالحضارة التي استخدمت في تشييد أبنيتها الحجارة الضخمة غير المنحوتة (الميكالوثية) . وأن مكان تجلب إلي سومر النحاس وحجر الديورايت الأسود وحجر أوو uu . وهناك مزهريات من البلور مدون عليها العبارة (غنائم ما كان نامراك ما كان) ترجع لعصر الملك نرام سِن آخر ملك قوي للسلالة الأكدية الذي نعرف أنه قد ذكر في نصوصة هجومة علي مكان كما ذكر كوديا جلبة لحجر الديورايت الأسود الذي صنع منه تماثيلة . وقد صدرت (مكان) إلي (أور) النحاس والصخور واعاج والخرز المقطوعة من الأحجار الثمينة والخشب والبصل والروائح العطرية وصدرت لها (أور) كما ذكرنا الثياب والصنوف والزيت والأدوات المصنوعة من الجلد . وأن حقيقة ذكر (مكان) علي الدوام مع دلمون مهمة في راي (ثابير) . وفي اللغة المقابل الدرافيدية ان معني المقطع " ما " حيوان كبير مثل الفيل أما المقطع الاخر (كان) فهو اسم مكان وبذلك يكون معني مكان برأي ثابير مكان الفيلة . وأن الدليل الوحيد برأيها لغزو (الملك الأكوي نرام سن) إلي (مكان) هو

الحرق والإشارات الي التخريب في موقعي (أمري وكوت ديجي) وأن اللؤلؤ موجود في سوراسترا وأن الإشارة الي تحطيم الأخلامو الأراميين غلي تمر (دلمون) يظهر بانه تخريب لسفينة محملة به منها إلي تخريب والحاق أذي ببساتين نخل . واهم واردات مكان كان النحاس " بالسومرية اورودو وبالاكدية ويروم " واديرت التجارة الرئيسية من قبل تجار دلمون . ولو ان النحاس قد استحرج بالأصل من مكان وجلب منها في البداية ونعرف أنها مصدر النحاس المصدر الي العراق وعلي الأخص في زمن صلالة اور الثالث ولكن في عصر اسن – لارسة (١٩٥٩- ١٦٩٨ ق.م) برزت دلمون مركزاً مهماً في تجارة النحاس ولو انها لا تنتج النحاس . وتعلل ثابير ذلك باحتمال حدوث تغيرات مناخية في منطقة وادي السند السفلي وربما تحولت تجارة النحاس غلي سوراسترا مرتبطة ع توسع مستقرات هاربا المتأخرة في هذه المنطقة ، وأن المناطق الرئيسية المنتجة للنحاس في شمال وغرب الهند هي (بلوجستان والسند وروبافاتي وراجاستان) وأن وجود النحاس في منطقة سيستان هو أيضاً مصدر (لمكان) وأن مواقع بلوجستان مثل (نال وكوللي) هي غنية في النحاس . وقد عثر في (هاربا ولوثال) علي بقايا صناعات نحاسية . والبضاعة الأخري هي العاج التي لاحظناها في سلالة اور الثالثة . وكانت منتجات (دلمون) تشمل الامشاط العاجية وصفائح الصدر وصناديق وملاعق وأثاث مطعم بالعاج كلها شائعة في مدن هاربا . وأن الفيلة من السند وسوراسترا كانت في الغالب مصدر العاج . وقد استعمل العاج بكميات كبيرة في الأماكن الملحقة بالمعبد مثل قاطعي الخشب والنجارين في أور زمن الملك ايببي سن (١٩٧٤-

١٩٥٠ ق.م.) [١] اما الصخور التي هي من صادرات مكان فموجودة في كاثيا وار وسلسلة كيرثار . وأن قصب همكان هو الخيزران وقد أشار الطبيب اليوناني كتيسياس من القرن الخامس ق . م . إلي القصب الطويل الضخم علي طول نهر السند . وتذكر ثابير احتمال كون معبد الالهــة (اينزاك) قد شيده جماعة من التجار او العوائل القادمة بالأصل من سواراسترا واستقرت لأجيال عدة في البحرين . فاراء ثابير بالرغم من أهميتها وتقديمها لوحي تفسيرات فان الأدلة التي طرحت عن موقع دلمون دعمته البراهين العملية . فدلمون هي مدينة القرنة الواقعة في بلاد سومر في بلاد الرافدين او في جزيرة البحرين [٢] وليس كما ذهبت هذه الباحثة والتي ساقت بعض التغييرات الاقتصادية والتي تؤكد علي حجم العلاقة بين بلاد الرافدين في سومر واكد وبابل وأشور ودلمون ومكان لم تقدم لنا وليلاً تاريخياً او جغرافياً او جيولوجياً او اسطورياً علي كون مدينة " دلمون " تقع في منطقة هاربا في الهند وهي وان ساقت مقاربة لغوية كلني مقاربتها هذه لم تصمد أمام الأدلة التاريخية والأسطورية والتي ساقها كل من سايرز وكريمر ، وكارنز وكثير من الاساطير الرافدينية القديمة .

(1) Leonard wooley , vr Excavafions , 111 No 1998
(2) Romila Tha par , A possible identification of meluhha , Dilmmun and makan JESO , Vol 18 part 1 , (1975) pp 2 – 36

دلمون وبلاد فارس

ونـاقش آخرون قدم العلاقة بين منـاطق دلمون (ومكـان وملوخـا والعراق) وكيف ان صدفة مزينة قد عثر عليها في موقع شغر بازار في شمال سورية ربما موقع مدينة شوبان انليل عاصمة الملك الأشوري شمشي اداد الأول) تعود إلي الألف الخامس ق . م . مستوردة من نهاية الخليج العربي . واعتقد في ضوء استنتاج آخرين [1] . خلال تفحصهم لعبارة في النصور الأخمينية بان الاسم الفارسي القديم للخشب المستورد من قبل الملك داريوس الأول (٥٢٢ ـ ٤٨٦ ق . م) بناء قصره في مدينة شوشة كان خشب يسو وهو نوع من أنواع الأخشاب القوية التي تنمو في مدينة شوشة كان خشب السيو وهو نوع من انواع الأخشاب القوية التي تمو في جبال الهمالايا وموجودة أيضاً في جنوب إيران مثل إقليم كرمان . وفي النص الأكدي للملك الأول عند واجهة الجبل في بيهستون قرب سربيل زهاب فإن اسم خشب السيسو هو ميسو المستورد من مكان ، مما حمل البعض إلي الاستنتاج بان مكان لابد انها كانت جزء من إيران وهي تقع فيما وراء بلاد عيلام علي مقربة من الجبال . وقد استحصلوا من المنطقة نفسها علي النحاس قد عرف عن مادة " برونزيات لورستان " كما اعتقدوا بان " ملوخا " تقع إلي الشرق من المدينة جاسك علي الخليج العربي . وربما شملت أيضاً مواقع " جانبار وكوادار " ربما " باسني " الواقعة في نهايتها الشرقية . إلي جانب حقيقة كون منتجات منطقة " ملوخا " التي وردتنا مشابهة لتلك من " مكان " وهي النحاس وخشب الميسو والبصل وطير أسمته

[1] Ilya Gershevitch , Sissooatsusa BSOAS (1957) Pant 2 19

المصادر المسمارية " دار ميلوخـخا (موشين) " وهو في الغالب الطاووس الذي نراه ممثالاً علي فخار هاربيا من وادي السند بالهند[1] . ويري كيلب كما اسفلنا القول بان مكان هي الساحل الجنوبي لبلاد العرب علي طول الخليج العربي التي تمتد من سومر شرقاً حتي وتشكل عمان . أما ملوخا فقد جعلها علي الشاطئ الشرقي للخليج العربي ابتداء من عيلام وانشان وجميع البلاد إلي الشرق منهما حتي وتشمل وادي السند . وكانت مكان وملوخا تصدران النحاس وخشب"الميس Mes" وجعل آخرون "مكان" إلي الغرب من " مكران " الحالية في جنوب بلوجستان بإيران بينما ملوخا تقع بالنسبة لهم تشمل غالبية بلوجستان الواقعة حالياً .

مما قدم يظهر ان فكرة وجود موقع محدد لجزيرة " دلمون " هي محصور بين كل من بلاد الرافدين والبحرين وقد اكدت هذا المعني كثير من الدراسات التاريخية والاثارية كما ذهب الي ذلك العهد القديم والذي حدد نفس المعني فيقول.

وانبت الرب الاله في الارض كل شجرة حسنة المنظر وطيبة المأكل وشجرة الحياة ... وبعد الجعل انبت الرب الاله الارض كل شجر منها شجرة الحياة في وسط الجنة ومن هذا التصور يمكننا القول ان الاخلاف بين الرأيين بين اصحاب الرأي الذي يقولون انها تقع في منطقة " القرنة " في بلاد الرافدين يعتمدون الي فكرة التشابة في الوصف الذي وصلنا في كثير من النصوص الاسطورية والتاريخية ، كما أن عمليات الكشف الاثاري القديم والحديث ترشح

(1) M . E . Mall owan , The mechanics of Ancient in western Asia , Reflection The Location of magan awd meluhh, 1 nau 11 (1965) pp 1-5

لنـا مـدينة (دلمـون) التـي تقع فـي مدينـة البحـرين واذا مـا تـذكرنا النـصوص التاريخية الكثيرة والعديدة الي تشير الي خضوع دلمون وحملكتها الي سلة الملك الحـاكم لـبلاد الرافدين كمـا وان العلاقـات الـسياسية والاقتـصادية كانـت متكاملـة طول هذه الحقب التاريخية يضاف إلي هذا وأن هذه العلاقة قد أخذت اشكالاً من التبعية لبلاد الرافدين او الاستقلال السياسي عنها ولعدم وجود مـا يثبت تاريخياً سواءاً من كتابات تاريخية أو اثارية والتي تدون التاريخ الحقب التاريخيـة للمالك التي حكم فيها ملوك الخليج الجزيرة كمـا وأن اغلب البـاحثين يتفقون الـــي ان موقــع " دلمون " كان خاضعة تحت سيطرة بلاد الرافدين وهو لا يتنـافي مع الرأي الذي يقول انها كانت تقع فـي دلمون فـي البحـرين الحـالي إذا مـا عرفنـا أن هذه المنطقة كانت في يوم ما مدينة من مدن العراق القديم او مينـاءاً من موانئـة ومملكة مستقلة فيما بعد من ممالكها وهذا التأكيد بالتالي يجعلنا نقول أن " دلمون " القديمة ليست في بلاد فارس ولا في الهند أو فـي تركيـا او فـي الحبشة بل تقع في المنطقة التي كانت تابعة للحدود الجغرافية لـبلاد الرافدين وهو لـيس استنتاجاً بل رأيا دعمته كثير في الادلة والاثاريـة والتاريخيـة والاسطورية والتـي سنقناها في موضن سابقاً .

المصادر باللغة العربية

- القرآن الكريم .
- كتاب العهد القديم .
- اوبل كارنر : هولاء درسو الانسان بيروت ١٩٩٦ .
- اودلف ادرمان : مصر القديمة القاهرة بلا .
- ا . ج سبنر : الموتي وكالم في مصر القاهرة .
- أمري : مصر في العصر العتيق القاهرة ٢٠٠١ .
- أمام عبد الفتاح : فلسفة هيجيك دار الثقافة بيروت .
- اميل هونونج : وادي الملوك القاهرة ١٩٩٦ .
- جوادعي : المنصل في تاريخ العربي قبل الاسلام بيروت ١٩٧٧ .
- جيمس بريستد : تطور الفكر والدين في مصر القديمة .
- جيوفري بيبي : البحث عن دلمون الجنه ١٩٨١ .
- حسن خليفة : تاريخ الشرق القديم القاهرة .
- رضا جواد الهامشي : تاريخ الخليج العربي والجزيرة بغداد ١٩٨٤ .
- روبرتس سميث : ديانه الساميين القاهرة ١٩٩١ .
- مسامي سعيد الأحمد : تاريخ الخليج العربي البصرة ١٩٨٥ .
- سامي عابدين : اصل الإنسان في التوراه القاهرة .
- طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات بغداد ١٩٧٣ .
- طه باقر : مقدمة في تاريخ الادب العراقي القديم بغداد .
- طه باقر : مفهوم الزمن في حضارة الزمن عليه افاق عربية بغداد ١٨٧٩
- عبد الجبار محمود : قصة ذهاب كلتامش الي دلمون برجله الوثيقة الحزينه
- عطية عامل : رسائل موت في الحكمة القاهرة ٢٠٠١ .
- فاضل عبد الواحد : سومر اسطوره وملحه بغداد ١٩٩٧
- فاضل عبد الواحد : اهمية الشخصيات ودورها في تاريخ العراق القديم .
- فاضل سعفان : كناسية الله يا مزعو القاهرة .

- ماكس ملر : نشاة الدين القاهرة .
- هنري رياض : اليمن وحضارات الشرق القديم الميند بلا .
- ول ديورانت : دروس في التاريخ ن ترجمة علي سكس دار الطبع .
- ويد جيري : انتاج وكيف تغيرت القاهرة .
- موسوعة الديانات السماوية بيروت ١٩٩٠ .

المصادر الأجنبية

- Arriana The Anabasis of Alexande VII20
- P . B Covnwell on the Location of Dilmun B A sor
- C . C Lamberg – Karlovsky , The proto Elamite serrl wm ent at Tepe, yahy . Iran Vol 9 (1971)
- D . D . Lvckenbill Ancient Re cords of Baby lonid and Assyhia (chicaqo , 1926) Vol , 2
- Sovrnal of the Royal Asiatic Society n . s . Vol 12 1880
- Geora A . B arton , The Royal inscriptions of summer and Akad , Vol 1 (new heven 1926) .
- J . P Joshi , Exploration at kuch and Excavations at sunkotda Vol 22 , 1977 .
- Geoffery Bibby Looking of Dilmun Proof Edition Book .
- J – Pnitch and . (Ed) Ancieut Near Eastern TexT (ANET) Phinseton , 1969 .
- Ilya Gershevitch , Sissoat Su Sa(B so A s) (1957) Pant , 2
- King , chronicles concerning Eanly Vbylonian Kings(Low don , 1907) .
- Moscati , AN cientewtic civilizationcopn icon .
- M . E . Mall owan , The Mechanics of Ancient Thad in western Asia Reflections on the location of magan and Me luhn (Inan 1965) .
- Samuel Noah Kramer , The Sumerians , Their History , Coltune and Character (Chicaqo , 1964)
- Ilya Gershevitc Fnom The Tablet of sums (Indian Hills Colorado 1956) .
- And Dlumun The sameniai Parsdis Lawd E X pedition Vol 6 , No 3(1964)
- S . N Kramer , The LAND of Living Bulletin of American School of oniental Reserauch Vol 96 , (December 1944) .
- S . R . Rot , contacts botweew Lethal and Susa (Pco . 1964) .
- W. H . Shoff , The Periblus of The Evythrean Sea(Londan 1917) .
- Zeitshnift Fnre Assyriologie . ZA , Vol 35 .

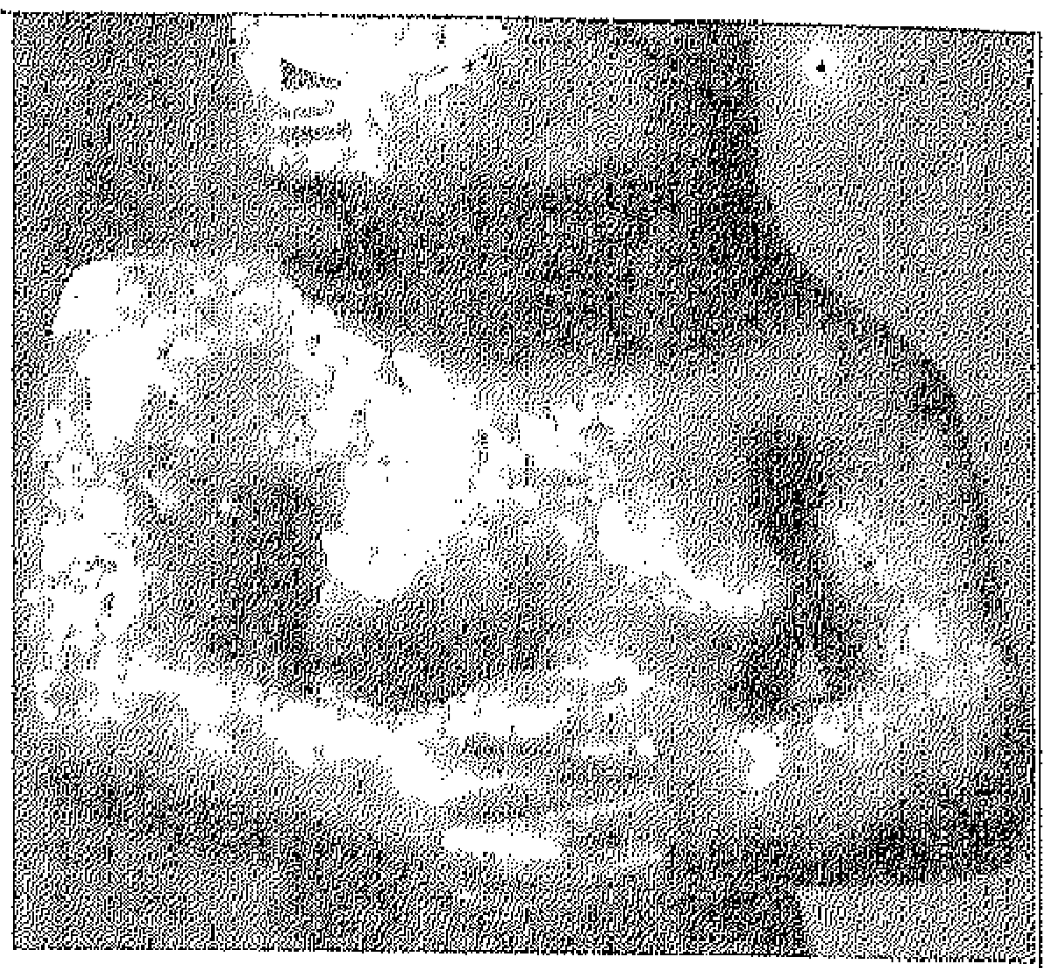

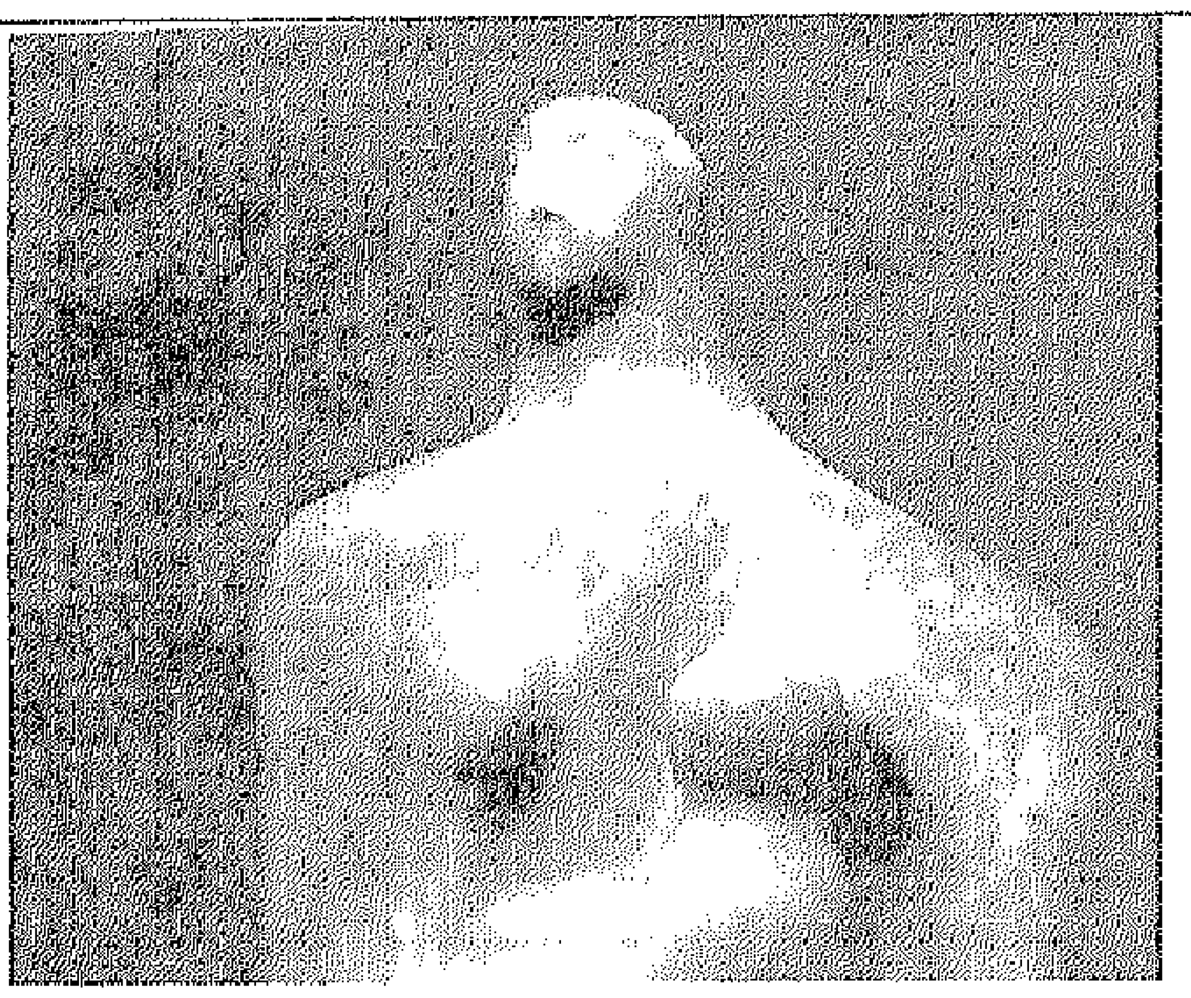

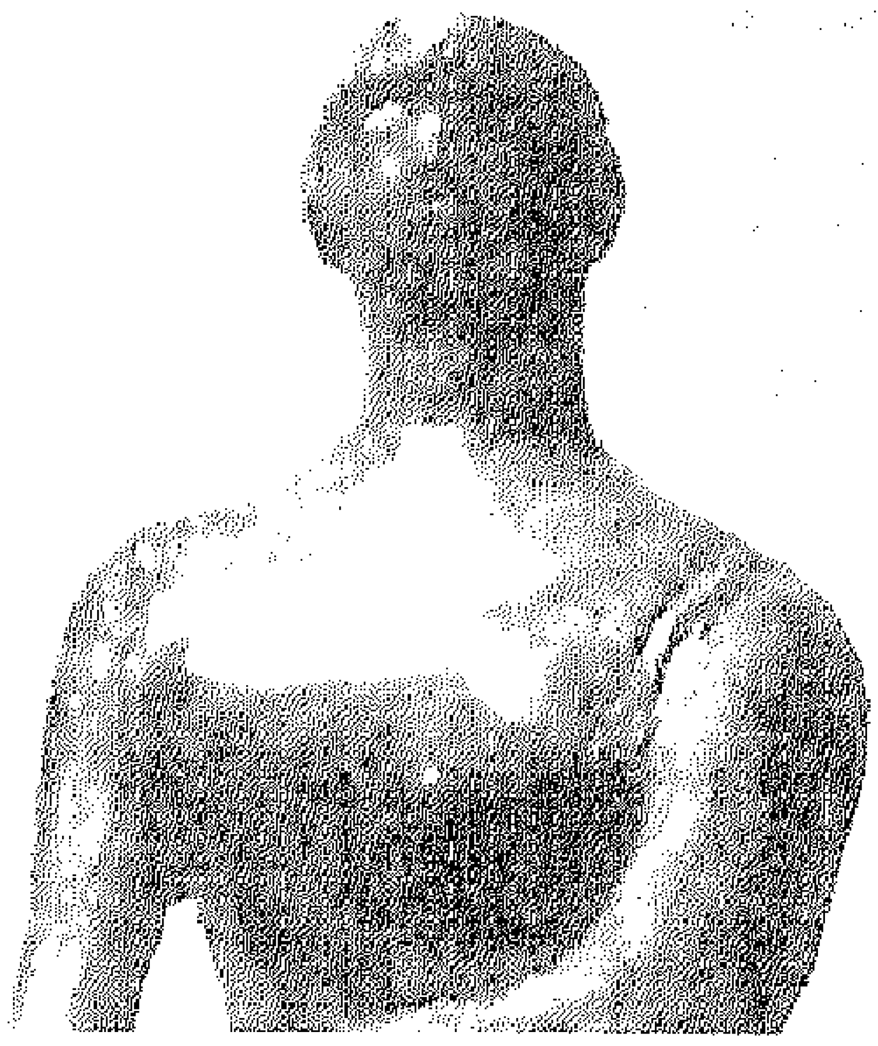

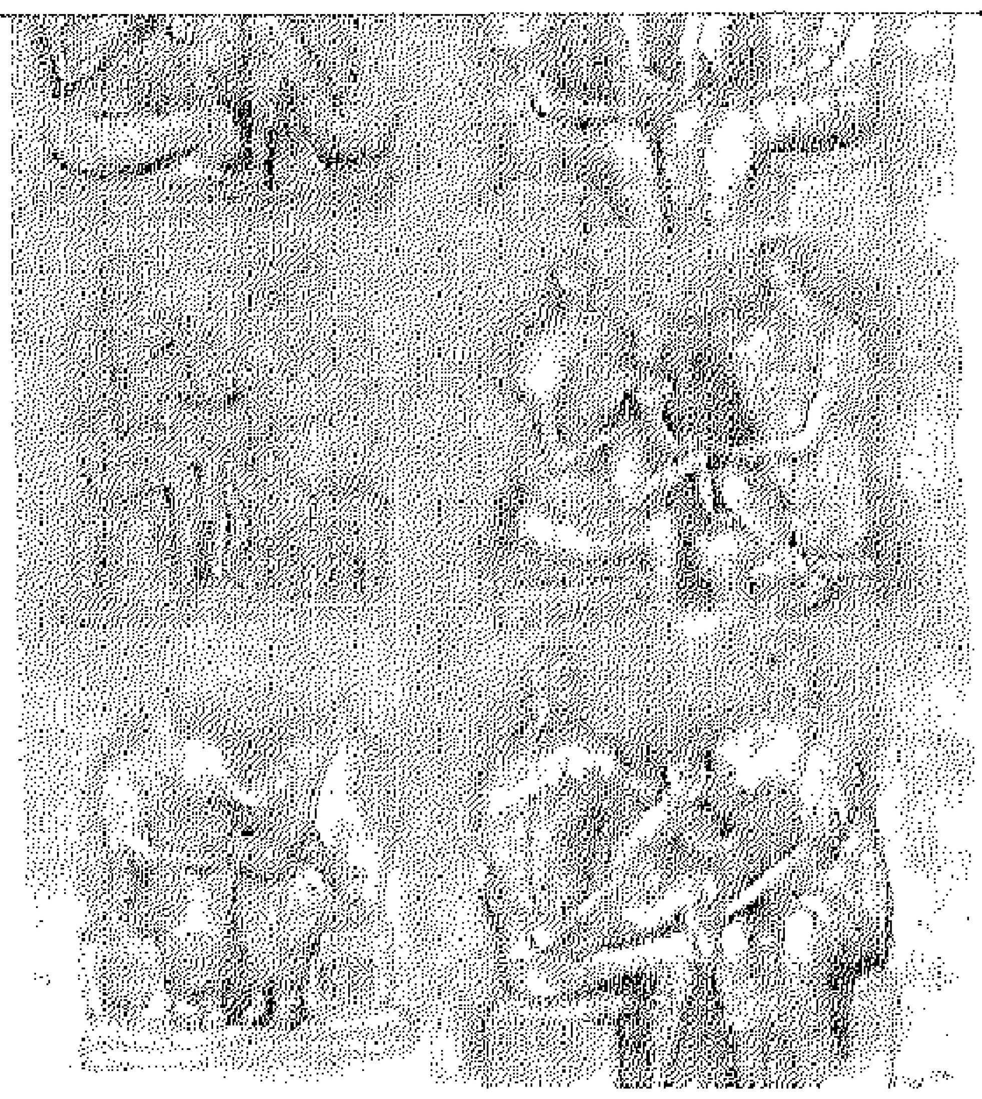

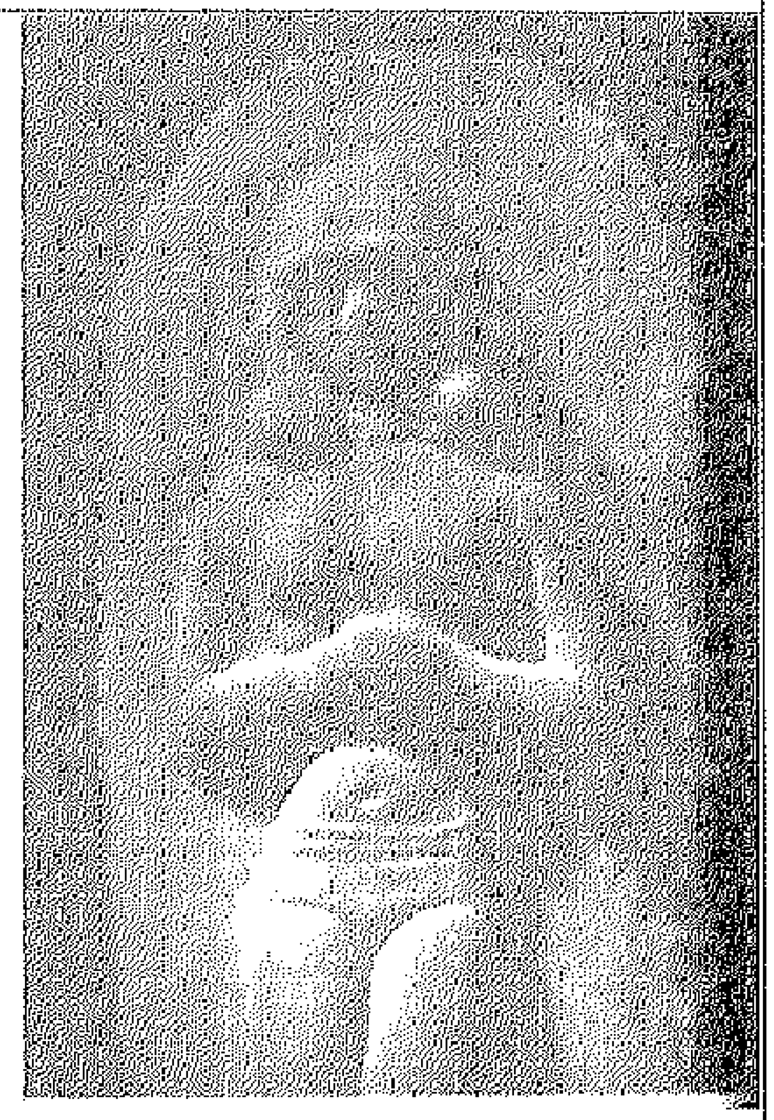

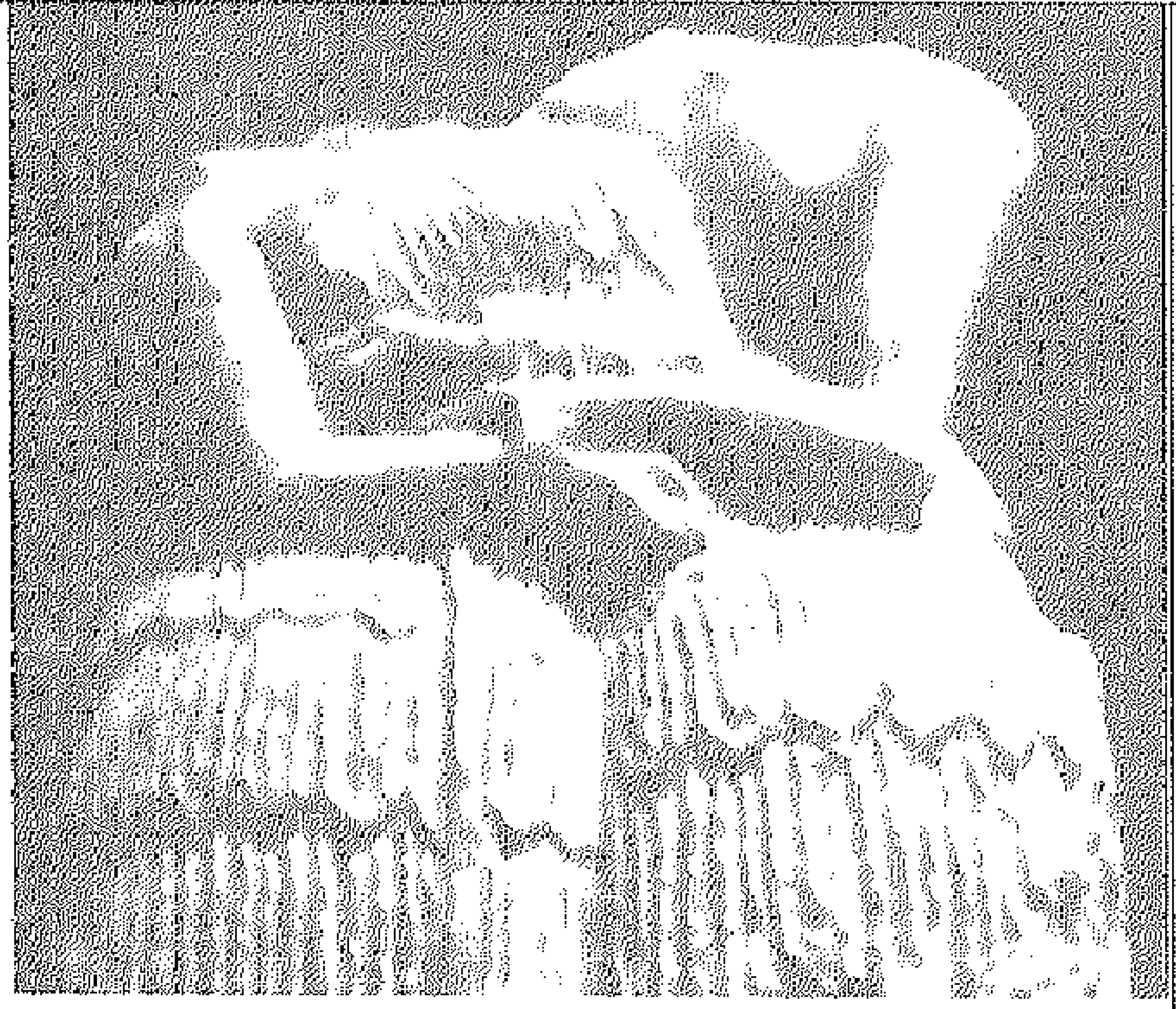

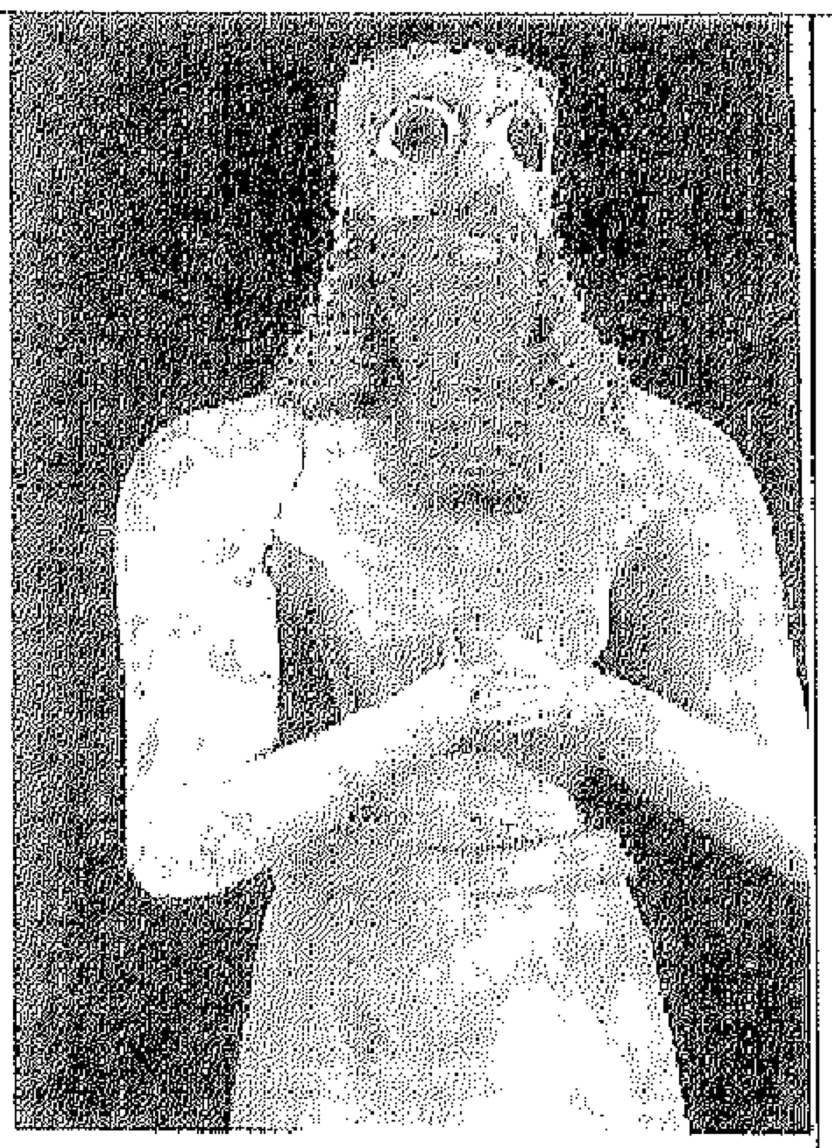

فهرس الموضوعات

التسلسل	الموضوع	الصفحة
*	الجنة: دلمون ، الفردوس ، الاسطورة ، الزمان و المكان المفترض	٥
*	دلمون الرمز والأسطورة والمكان	١٥
*	دلمون وليس عدن هي جنة السومريين وأرض الخلود .	٢٣
*	دلمون في الأساطير العراقية السومرية	٢٧
*	الجنة في عقائد المصريين القدامى	٦٧
*	الجنة في المعتقدات الهندوسية	٧٣
*	الجنة عند المجوس (أو الزرادشتية)	٧٩
*	دراسة وتأويل في الزمان والمكان المأول للجنة	٨٣
*	آثار وحضارة أقطار الخليج العربي في عصورها القديمة	٩٣
*	اقتصاديات الخليج العربي في العصور القديمة	١١٥
*	العلاقة بين دلمون والمدن العراقية الجنوبية	١٢٣
*	الجنة او دلمون هل هى في بلاد الهند	١٤٥
*	دلمون أو الجنة هل هي في بلاد فارس	١٥٥
*	المصادر والمراجع التي رجع إليها الكاتب	١٥٩

البحث عن جنة الفردوس

دراسة فى أساطير الحضارات القديمة

ظل موضوع الكتابة عن جنة الخلود أو الفردوس القديم أو"دلمون "فى الحضارات القديمة أمراً شيقاً وصعباً فى ذات الوقت وتكمن أهميتهُ فى كونها تحيلنا إلى مساحة كبيرة من الخيال الأسطوري والأدبي القديم بالإضافة إلي احتلالها مساحة أكبر من الخطاب الفكري أو الفلسفي أو العقيدي فى الديانات الرسالية (اليهودية ، المسيحية ، الإسلامية) وعلى الرغم من أن فكرة الجنة والحصول عليها أو الاستقرار فيها كثواب للأعمال الصالحة كانت هي جوهر فكرة الخلود فى الخيال الفكري والديني والأسطورى فى الحضارات القديمة، إلا أنها لازالت بحاجة إلى تأصيل بحثي .

وقد سعت هذه الدراسة إلى إبراز الآراء التي حاولت أن تحدد البعد الزماني والمكاني لفكرة الجنة ، ومناقشة بعض الروايات والآراء وأسانيدها الأثارية والجغرافية والتاريخية والتي وإن اخت
تحديد مكان الجنة لكنها اتفقت على شيوع فكرة الخلود فى الج
الخيال الأسطورى والديني الذي تتبعناه فى كثير من ال
والملاحم لكثير من حضارات الشرق القديم.

Bibliotheca Alexandrina
0667094
3
1